الباب الثالث
فى كيفية استيلاء
آل خليفة على البحرين
(وتداولها بينهم وما جرى
فى خلاله من الملاحم)

ولما توطد حكم الشيخ خليفة بن محمد بن خليفة على الزبارة شرع بعض عشيرته وأتباعه بالاشتغال فى التجارة فكانوا يأتون جزيرة البحرين ويشترون منها اللؤلؤ ويسافرون به إلى أرض الهند فيبيعونه ويرجعون إلى بلادهم. وكان غالب سكان البحرين شيعة شديدى التعصب على إخوانهم السنيين وكانوا يتغالون فى إهانة واضطهاد كل سنى وطىء بلادهم للحرفة أو للتجارة.

فوافق فى بعض الأيام أن اعتدوا على خدم لآل خليفة جاءوا إلى بلدة فى البحرين تسمى (سترة) لشراء جذوع النخيل فأدى ذلك إلى وقوع قتال بين خدم آل خليفة والبحارنة[١] كانت نتيجته قتل خادم لآل خليفة يسمى إسماعيل. فغضب لذلك أهل الزبارة جميعًا ثم أنهم أرسلوا إلى البحرين أناسًا مسلحين فى سفينة صغيرة للأخذ بثأر المقتول. فساروا إلى (سترة) وتقابلوا مع رهط القاتلين حتى تمكنوا من قتل غريمهم. ولكن بعد أن قتل معه نحو خمسة أشخاص ولم يقتل من أهل الزبارة أحد فعظمت المصيبة على البحارنة فتجمهروا واستغاثوا (بحاكمهم الشيخ نصر آل مذكور) فجهز لهم السفن مشحونة بجيش عظيم وتولى هو القيادة بنفسه ليثير النخوة والحماسة فيهم وسار الكل نحو قطر حتى أرسوا بسفنهم عند موضع يقال له (عشيرقا) ومشوا من هناك رجلانا إلى الزبارة وأحاطوا بها محاصرين لها. وطلبوا من أهلها سبى نسائهم وأطفالهم وخدمهم جميعًا وإلا وضعوا فيهم السيوف حتى يفنوهم عن آخرهم فعظمت المحنة على المسلمين واستكبروا هذه الشروط التى

(١) البحارنة فى اصطلاحهم هم أبناء الشيعة فقط. ا هـ مؤلف.

ما أنـزل الله بها من سلطان فـهان عليـهم الموت فى حفظ عـرضهم وحـفظ نسائهم وأطفالهم. واستصوبوا قول عنترة العبسى:

وإذا بـلـيت بـظـالـم كن ظـالمـا وإذا لقـيت ذوى الجهـالة فاجـهل

وإذا الجـبـان نهـاك يوم كـريهـة خوفًـا عليك من ازدحام الجـحفل

فـاعص مـقـالتـه ولا تحـفل بهـا واقـدم إذا حق اللـقـافى الأول

واختـر لنفـسك منزلا تـعلو به أو مت كـريمًا تحت ظل القـصطل

فـالموت لا ينـجـيـك من آفـاته حـصن ولو شـيـدته بـالجندل

وخرجوا إلى ميـدان القتال بعد أن أبقوا شرذمـة من الرجال عند النساء والأطفال. وقالوا لهم إن نصرنا الله فبـها ونعمت وإن انكسرنا لا سمح الله. فأنتم اقـتلوا النساء والأطفال جـميعًـا ولا تدعوهم يصيـروا أسارى فى أيدى الشيعة. وبعد قتلهم فشأنكم والفرار للنجاة بأنفسكم. ولما تقابل الجمعان كان رئيس الزبارة وكيل حاكمها الشيخ أحمد بن محمد (لغياب أخيه الحاكم الشيخ خليفـة فى الحج كمـا أسلفنا) ودار بينهم الضرب والطعـان وتطايرت الرءوس عن الأبدان. وصاحت الأبطال على بعضها بأصوات يذوب منها قلب الجبان. نهض أهل (فريحـة) وهم فخـيذة من آل ابن على[١] مسـاعدين لآل خليـفة وشهروا سيوفهم وبرزوا إلى الميـدان. فلم يلبث قوم نصر إلا ساعة من نهار. حتى أسـفرت الواقعة عن انكسـارهم فولوا الأدبار. وانتصـر أهل الزبارة وما النصـر إلا من عند الله العـزيز الحكيم. وغلب هنـالك قوم نصـروا انقلبـوا صاغرين وفروا بأنفسهم إلى سفنهم وذهبـوا بها إلى (أبى شهر) تاركين ساحة

(١) فريحة اسم قرية قرب الزبارة كانت تسكنه فصيلة من آل ابن على. ا هـ مؤلف.

الوغى ملآى بجثث قتلاهم. ومن ذلك اليوم صغر أهل البحرين اسم الشيخ نصر وسموه (نصورًا) وتسمى هذه الوقعة (وقعة نصور. وتدويل نصور) وذلك فى ١٨ جمادى الثانية عام (١١٩٧) وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين:

وفى هذه المعركة آل سيف الشيخ نصر آل مذكور إلى (آل ابن سلامة) وهم عشيرة من آل ابن على. ثم آل ذلك السيف إلى الشيخ سلطان بن سلامة. ثم إلى ورثته إلى سنة (١٣٣٢) حيث أهدى ذلك السيف إلى حاكم قطر الشيخ عبد الله بن قاسم بن ثانى.

* * *

الفصل الأول
فى حكم الشيخ
أحمد بن محمد
وهو الفاتح للبحرين

ولما تبين فشل الإيرانيين وانكسارهم أمام أقدام العرب وفرارهم إلى أبى شهر عبر الشيخ أحمد بن محمد آل خليفة إلى البحرين بقومه واحتلها. وأرسل عائلة الشيخ نصر إلى أبى شهر خلف أبيهم وقد استدل بذلك على سعة أحلام آل خليفة ومكارم أخلاقهم العربية حيث أنهم لم ينتقموا من عدوهم الشيخ نصر بأسر عائلته أو أهانتها (كما قد أراد أن يفعل الشيخ نصر بهم) بل أن آل خليفة أكرموهم وأرسلوا بغاية الحفظ إلى مأمنهم.

ولقد أرخ بعضهم استيلاء الشيخ أحمد الفاتح على البحرين (جزيرة أوال) بقوله (أحمد صار فى أوال خليفة) فلله در هذا المؤرخ الذى جمع هذه المعانى فى هذا التاريخ فإنه ذكر الاسم والجد واللقب والحكم ومآله والإمارة والموضع والتاريخ.

فينبغى أن يقال:

فإن لم يكن درا فذاك نقيصة وإن كان درا كيف يهدى إلى البحر

ومن يومئذٍ اشتهرت هذه الفخيذة بآل خليفة إلى الآن ولم تزل إن شاء الله إلى منتهى الأزمان. خلد الله ملكهم وأعز شوكتهم. وجعل النصر حليفهم. فإنهم لم يزالوا خلفاء فى الأرض يحكمون بين الناس بالقسط. كيف لا وهم أهل المجد الباذخ. والشرف الشامخ. الذين لم يظهر الله من نسلهم من يخالف أهل السنة والجماعة. مثل ما ظهر فى غيرهم من أمراء المسلمين: وذلك بامتثالهم إلى قوله تعالى: ﴿وشاورهم فى الأمر﴾ فإنهم لم ينفذوا أمرًا مهما إلا بمراجعة الأفاضل من العلماء وبمشورة الوزراء الأتقياء. وفقهم الله لذلك آمين.

ولما استتب حكم الشيخ أحمد بن محمد على البحرين ورتب أمور البلد عاد إلى الزبارة بعد أن جعل على البحرين أميراً من قبله. وجعل مقره فى (قلعة الديوان) الكائنة جنوب المنامة وصار الشيخ أحمد المذكور يأتى إلى البحرين زمن الصيف من كل سنة ولم تزل هذه عادته إلى أن أفلت شمسه بها فدفن فى مقبرة المنامة وذلك سنة (١٢٠٩) وأرخت وفاته بلفظ (رعده) مأخوذة من أنه فى رحمة ربه فى عيشة رغدة رحمه الله[١].

وبقى الأمر لبنيه فالشيخ سلمان هو الحاكم وسكناه (الرفاع) ووازره أخوه الشيخ عبد الله وسكناه (المحرق) وأما أخوهما الثالث الشيخ محمد فإنه توفى بمسقط. وسيأتى سبب ذهابه إليها عند ذكر حكم الشيخ سلمان بن أحمد.

* * *

(١) تنبيه الشيخ أحمد والشيخ مقرن أشقاء وخالهما عمرو بن سنان من آل مبارك من آل بن على. ودفن الشيخ أحمد بالمنامة كما تقدم فى الأصل. ودفن أخوه الشيخ مقرن بالمحرق والشيخ على والشيخ إبراهيم أشقاء وخالهما من آل أبى سدرة من آل الشيخ من آل أبى كوارة. ودفن الشيخ على بالمحرق. وأما أخوه الشيخ إبراهيم فإنه توجه إلى البصرة سنة (١٢١٢) صحبه الشيخ أحمد بن رزق الشهير وبقى معه مدة ثم قفل راجعًا إلى البحرين وتوفى بها سنة (١٢٣٠) ودفن فى سترة: وأما أخوهم الخامس الشيخ خليفة فأخواله آل صباح حكام الكويت وتوفى بمكة المشرفة سنة (١١٩٧) كما وضحناه فى الباب الثانى فهؤلاء الخمسة هم أبناء الشيخ محمد بن خليفة فقط. ا هـ مؤلف.

الفصل الثانى
فى حكم
الشيخ سلمان
وهو الحاكم الثانى

تولى الشيخ سلمـان بن أحمد آل خليفة الحكـم سنة (١٢٠٩) بعد وفاة أبيه. وكان حـازمًا عادلا ورعًا فأحـبته الرعية ودانت له القـبائل. ثم فى سنة (١٢١٢) نقل جمـيع عائلته وحـواشيهم من الزبارة إلى البـحرين وأنزلهم فى القرية المسـماة (جوًا) وسبب ذلك الخـشية عليـهم من غارات سعود بن عـبد العزيز الذى اسـتفحل أمـره فى تلك المدة. بعد أن غزى بلاد المنتـفق والقرية المسماة بأم العباس فقتل منها وممن حولها خلقًا كثيرًا ونهب وحرق ثم كر على بادية العراق ثم عطف على الإحـساء والقطيف فتـغلب عليها (كـما بيناه فى تاريخ نجد) فـصار يخشـى على الزبارة أيضًا من مهـاجمتـه إياها فلذلك نقل الشيخ سلمان جميع عائلته منها.

وكـان للشيخ سلمـان من الولد ثمـانية أبناء. الشـيخ خليفـة وأحمـد ويوسف. وعبد الرازق. وداود. ومحمد. وحمود. وعبد الوهاب.

* * *

فصل
فى تغلب حاكم
مسقط على البحرين

وفى سنة (١٢١٥) هجم حاكم مسقط السيد سلطان بن أحمد بأسطوله الشراعى على البحرين واستولى عليها بدون قتال لأن الشيخ سلمان لم يستحسن الحرب ولا المقاومة. لأنه قد عثر على بعض خطوط سرية جارية بين أهل البحرين وحاكم مسقط يرغبونه فى الاستيلاء على بلادهم. وكان عثوره على تلك المكاتبات قبل هجوم حاكم مسقط بمدة وجيزة لم يمكنه أن يأخذ الأهبة للدفاع عن وطنه والقبض على المفسدين لا سيما وقد لاح له أن غالب جيوشه مخدوعة بعدم المقاومة. فاضطر إلى التسليم وجنح إلى الصلح بدون مقاومة ما. على شرط أن تبقى له أملاكه وأمواله كما هى.

فقبل السيد سلطان بذلك بشرط أن يتخلى الشيخ سلمان عن البحرين تمامًا وأن يدفع أخاه الشيخ محمد رهينة عند حاكم مسقط يقتله إذا رأى من الشيخ سلمان المشار إليه تحفزًا للثورة. فتم الصلح بين الطرفين على ذلك. فأرسل حاكم مسقط أخاه السيد سعيدًا حاكمًا على البحرين من قبله بعد أن أخذ الشيخ محمدًا رهينة عنده.

فقدم السيد سعيد البحرين فى السنة المذكورة ونزل عند قرية يقال لها (عرادًا) وبنى على ساحلها الغربى الشمالى (قلعة) منيعة تسمى اليوم (قلعة عراد) وهى باقية إلى اليوم ولكنها مهجورة آيلة للخراب (وقد ذهبت إليها ولم أر فيها كتابة ولا علامة مفيدة بل ولم يكن على بابها تاريخ بنبئ عن بنائها).

ثم إن الخليفتين لما رأوا تحصن السيد سعيد فى القلعة المذكورة أيسوا من استرداد البحرين فارتحلوا بعائلاتهم وأتباعهم جميعًا إلى الزبارة بلدتهم القديمة

ولبثوا يتحينـون الفرص إلى أن بلغتهم وفاة الشيخ محمـد بن أحمد آل خليفة فى مسقط سنة (١٢٢٣) حيث أصبحوا آمنين من الفتك بأخيهم المذكور.

فعمـدوا بعد ذلك إلى أعمال الفكر والروية فى استـرداد البحرين ورأوا من الراجح أن يطلبـوا من سعـود بن عبـد العزيز أمـير نجـد المساعـدة بالمال والرجال. فأرسل لهم جيشًا تحت قيادة إبراهيم بن عـفيصان وأتوا جميعًا إلى البـحرين وتقـاتلوا مع المسـقطيـين قتـالا شـديدًا حتـى أجلوهم عن البلدة. واستولوا عليها وذلك سنة (١٢٢٤).

* * *

فصل فى استيلاء أمير نجد على البحرين وغدره بحاكمها

كان الاتفاق بين سعود أمير نجد. والشيخ سلمان على أن ينجد الأول الثانى ويعينه على استرداد ملكه المسلوب. ولما تم لهما الظفر على السيد سعيد كان قد أضمر سعود فى نفسه الغدر للشيخ سلمان وأوصى عامله بن عفيصان أن يمنع آل خليفة من سكنى البحرين ومن التصرف بها إذا حصل لهم النصر. وإن رأى منهم شراسة أو حدة فى طلب الحكم على بلدتهم يطلب منهم أن يواجهوا مخدومه سعود بن عبد العزيز ويتحصلوا منه الإذن بإعادة البحرين لهم: فبعد النصر فعل ابن عفيصان ما أمر به فلم يرض الخليفيون على ذلك بل انتقلوا إلى الزبارة وهم يفكرون فى حل مشكلتهم: وبقى بن عفيصان أميرًا على البحرين ومقر إمارته (قلعة الديوان).

ثم إن الخليفيين أرسلوا إلى سعود بن عبد العزيز يطلبون منه جلاء جنوده من البحرين بموجب نص الاتفاق المعقود بينهما.

فبينما هم كذلك وإذا بسليمان بن سيف بن طوق يقود سرية فدخل بها الزبارة واستولى عليها وألزم آل خليفة بالتوجه إلى نجد لمقابلة أميرها: فتوجه إليه منهم ثلاثة (الشيخ سلمان: والشيخ عبد الله أبناء الشيخ أحمد وابن عمهما الشيخ عبد الله بن خليفة) وصحبهم من أعيان الزبارة السيد عبد الجليل بن ياسين البصرى صاحب الديوان الشهير: والسيد عبد الرحمن الزواوى ومحمد بن صقر المعاوده: فلما وصلوا إلى نجد وتقابلوا مع الأمير أمر آل خليفة بالبقاء عنده فى الدرعية وأمر الباقين بالرجوع إلى بلدهم وذلك سنة (١٢٢٤) وانشد لسان الحال يقول:

والمستغيث بعمرو يوم كربته كالمستغيث من الرمضاء بالنار

فلما حصل على آل خليفة ما حصل من الغدر الفظيع لم يسعهم إلا قول الشاعر:

تعلم شفاء النفس قهر عدوها وبادر بلطف فى التحليل والمكر

فعند ذلك أرسلوا سرًا إلى ابن أختهم الشيخ عبد الرحمن بن راشد آل فاضل وأخبروه بأن يحتال فى أخذ البحرين وإخراج ابن عفيصان منها بأى صورة كانت. فامتثل أمر أخواله وشرع فى التدبير لأخذ البحرين: فأظهر بأنه متوجه إلى الهند للتجارة وركب سفينته المسماة (الجابرى) فلما وصل (مسقطا) نزلها وطلب من حاكمها (السيد سعيد بن سلطان) المساعدة فاعتذر السيد سعيد من المساعدة بالجنود وإنما أمده بشىء من المال وأهداه السيف المسمى (السلمونى) وهو من سيوف العرب المشهورة: وقد آل هذا السيف أخيرا ليد سمو الشيخ محمد بن ذى عظمة سمو الشيخ عيسى آل خليفة وهو باق بيده إلى حال التاريخ:

تنبيه:

كانت عادة آل خليفة إذا ضايقهم أمير نجد استعانوا بحاكم مسقط. وإذا ضايقهم حاكم مسقط استعانوا بأمير نجد: كما هو شأن دهاة السياسة الذين ينالون الفوز باستخدام أعدائهم.

* * *

فصل فى كيفية استرجاع البحرين بواسطة الشيخ عبد الرحمن آل فاضل

ولما تحصل الشيخ عبد الرحمن بن راشد آل فاضل على المدد من حاكم مسقط توجه إلى (فارس) وقصد حاكمها الشيخ جُباره[١] وجند بمساعدته رجالا بالدراهم من فارس: وبعد ذلك أرسل سرا إلى أبناء آل خليفة الموجودين فى الزبارة: وهم خليفة بن الشيخ سلمان: وحمد وراشد أبناء الشيخ عبد الله: وأخبرهم بأنه قد تحصل على المدد وتواعدهم فى يوم معين للهجوم على البحرين.

فلما قرب منها خرج له الخليفيون المذكورون بجيش مؤلف من أخوالهم آل بن على وانضموا إلى ابن عمتهم الشيخ عبد الرحمن المذكور وساروا جميعا نحو البحرين وتواقعوا مع جيش ابن عفيصان حتى كسروه وأخرجوه هو وقومه منها صاغرين فسار ابن عفيصان إلى (قطر) ونزل عند رحمة بن جابر الجلاهمة فى موضع يقال له (الخوير) وهو شرقى الزبارة

ولما تم النصر لآل خليفة مع ابن عمتهم الشيخ عبد الرحمن على البحرين واستولوا عليها كان ذلك فى سنة (١٢٢٥) وبعد أن استتب لهم الأمر فيها نقلوا إليها جميع عائلاتهم من الزبارة: وجعلت العرب تتسلل سرا إلى البحرين تبعا لآل خليفة. وخوفًا من جور أمراء نجد: فخاف سليمان بن سيف ابن طوق المذكور من خلو الزبارة فمنع القبائل من الظعن منها: فلم يلتقوا إلى قوله بل جعلوا يفارقونها جمعا ووحدانا: حتى بقيت الزبارة خاوية على عروشها: فانسحب منها سليمان بن طوق إلى الإحساء:

(١) يقال أنه من النصور قبيلة من العرب سكنت فارسًا ا هـ مؤلف.

فلما بلغ سعود بن عبد العزيز خبر خروج عامله (ابن عفيصان) من البحرين قهراً، وأن السيخ عبد الرحمن قد استولى على البلدة مع أبناء آل خليفة الباقين فى الزبارة أخذ بالمذاكرة مع آل خليفة المعتقلين عنده فى شأن فلاموه على التفريط فى وضع عمال ضعفاء حتى فرطت البلدة من يده ومن يدهم: فسألهم عن التدبير فى ذلك. فقالوا له أطلق سراحنا حتى ننظر فى أمرها لعلنا أن نتمكن من استرجاعها فنشترك معك فيها. فامتنع من إرسالهم جميعا. ولكن ترجح لديه إرسال أحدهم فأطلق سراح الشيخ عبد الله بن أحمد وأصحبه مع رجال ثقات من قومه ليعرفوا رأى الشيخ عبد الرحمن آل فاضل هل أخذ البحرين طمعا فى الملك لنفسه أم أخذها مساعدة لآل خليفة.

فلما وصلوا إلى البحرين أظهر الشيخ عبد الرحمن لهم الجفاء والغضب وأخشن لهم القول. وذلك بإشارة له من آل خليفة الذين فى نجد. ثم إن رجال سعود خاطبوا الشيخ عبد الرحمن (وقالوا له كيف يتجرأ العيال على أخذ البحرين وآباؤهم فى قبضة (الإمام) فقال لهم دونكم والعيال فإنهم حاضرون فتقدم لهم الشيخ خليفة بن الشيخ سلمان وهو أكبر الأبناء وقال لهم نحن أخذ البحرين لأنفسنا ولا حاجة لنا بآبائنا فإننا قد يئسنا منهم وسمينا بأسمائهم فغضب لذلك رجال سعود وقالوا كل ذلك مكيدة من الشيخ عبد الرحمن. وخاطبوه بقولهم (لو كان يمكن للخف والحافران يطأ البحرين لنثرناها حصاة حصاة) فأجابهم الشيخ عبد الرحمن وقال لهم إذا وصلتم عند إمامكم فقولوا له (لو يمكن لقبيت الجابرى)[1] أن يطل على الدرعية لجعلنا عاليها سافلها ولما تركناه ينام بها ليلة سوداء) فلما رجع رجال سعود وأخبروه

(١) القبيت اسم لأنف السفينة. أى لو يمكن لأنف سفينتى المسماة بالجابرى أن تشرف على بلدتكم لجعلنا عاليها سافلها. الخ ا هـ مؤلف.

بما جرى أيس من البحرين وأطلق سراح آل خليفة المعتقلين عنده وأسلمهم (ورقة حوالة) على عامله بالحسا ليستلموا بها بعض الدراهم للمساعدة على استرجاع ملكهم المسلوب ولكنهم لما بارحوا الدرعية أتوا جميعا إلى موضع يقال له (الصفيرة: وقيل إلى نقع أعجمى) وكان قد أعد لهم الشيخ عبد الرحمن هناك سفنا لنقلهم بإشارة منهم أيضا وبعد خروجهم من نجد أرسل (رحمه بن جابر الجلاهمة) رسولا إلى سعود بن عبد العزيز يحذره من إطلاق آل خليفة المعتقلين عنده وذلك بإشارة من إبراهيم بن عفيصان الذى نزل عنده بعد هزيمته من البحرين فندم سعود على ما فرط وعلم أنها مكيدة من ابن أختهم وأنهم أن وصلوا البحرين يصعب استرجاعها فأرسل وراءهم لنرجعهم إليه (ولكن سبق السيف العذل) إذ أدركتهم السرية وهم على ساحل البحر وقد ركب غالبهم السفن فترامیا بالبنادق حتى قتل رئيس السرية وفر الباقون بأنفسهم وأتى آل خليفة إلى البحرين واستلموا زمام المملكة ابن أختهم وتسمى هذه المسألة (نزول المحرق من بعد الزبارة) وذلك سنة (١٢٢٥ هـ).

وقعة خكيكيره

لم تقف همة الخليفيين عند تملك جزيرة البحرين فقط بل رأوا من الواجب أن يثأروا من إبراهيم بن عفيصان ومن مساعده رحمه بن جابر الجلاهمة[١] وحال ما وطئوا البحرين توجهوا منها بأسطول من السفن

(١) رحمه الجلاهمة كان رجلا عزيزاً فى قومه ولعزته لم يدن لطاعة آل خليفة من كل وجه لأمور فى نفسه فجعل يشن الغارات عليهم كما سيأتى فى الأصل عند ذكر وقعاته حسداً منه:

لا يحسد المرء إلا من فضائله بالعلم والظرف أو بالبأس والجود

ا هـ مؤلف.

الشراعية للإيقاع بهما. وكان (رحمه وابن عـفيضان) قد تأهبا واستعدا لمحاربة آل خليفة مؤملين فى استرداد البحرين منهم. وقد تربص الخليفيون حتى خيم الليل فأتوا وأرسوا بـسفنهم أمام (الخوير) وهو موضع على سـاحل قطر يقيم فيه رحمه وابن عفيصان.

فلما رأى رحمه ضوء مصابيح السفن قال لابن عـفيصان أن تعبيتها (أى مرسـاها) ينبئ بوجود الشيخ عـبد الله بن أحمد فـيها (فـأجابه بن عفيـصان متهكمـا) أما وقد علمت بوجود الشيـخ عبد الله مع المحبوسـين عند سعود. ومع ذلك فإنى أود أن أعرف الـدليل الذى بنيت عليه نبوءتك فقـال رحمه أن تعبيـتها تعبية قـائد خبير لا يمكن أن يكون غير الشـيخ عبد الله. ثم أراد أن يحقق ذلك فـاستـدعى بزورق ووضع فيه سـراجا وأمره بـالوقوف وراء تلك السفن.

فلمـا وقف الزورق ورآه الشيخ عـبـد الله خشى بأن يكون ذلك ضـوء سفن رحـمه. فأمـر فى الحال سـفنه بأن تقلع وتقف وراء ذلك الضوء دفـعا لهجوم يجـعلها محصـورة بين السفن والبلدة فلما رأى رحمـه ذلك تيقن بأن الشيخ عبد الله هو قائدها ولا شك وتعجب من مـقدرته الحربية وإتقانه أفانين الدهاء والسياسة.

ثم أنه أمر سفنه وأشهـرها سفينته الخصوصيـة المسماة (المنوار) بالخروج إلى عرض البحر لرد غارات سفن الخليفيين. ولما أسفر الصباح وتراء الجمعان قال رحمه لابن عفيصان إنـى أرى من الحزم ألا نتقابل مع الخليفيين لأنه ليس لنا قوة على قتالهم فغاظ ذلك ابن عفيصان وظنه جبنًا من رحمه. وأمر رجلا من قومه بأن يُحَوْرب[١] بهذا النبط:

(١) يحورب أى يتحرش للحرب بالشعر ليثـير الحماسة والنخوة فى قلوب الرجال لأن العرب تهتز أسنتها بالشعر. ا هـ مؤلف.

لا خير فى رجل يجر جريره وإذا تضـــايق دربــها خلاها

فغـضب رحمه واعـتزى وقال (إلا بالله مـا يخليها) وأمـر برفع الشراع وبرزا للقتال حتى اشتبكت السفن ببعـضها ولاصقت سفينة راشد بن عبد الله سفينة رحمـه فجاء أبوه الشيخ عبد الله ولاصق سفـينة ابنه راشد من الجانب الآخر وحمى وطيس القتال بين الفريقـين حتى قتل راشد بن عبد الله بعد أن قتل من الجـانبين خلق كـثيـر. وكان من شـدة إطلاق الرصاص بن الجـانبين اشتـعلت النار فى شراعى سفينـتى رحمه وراشد فـاحترقت السفـينتان ونجت سـفينة الشـيخ عبـد الله المسـماة (الطويـلة) وقد أدى ذلك إلى انكسـار ابن عفـيصان ورحـمه وفرارهمـا على لوح من خشب السـفينة المحروقـة بعد أن أصيب رحمه فى يده اليمنى بجراحات مبـرحة. وبينما كانا عائمين قال رحمه لابن عفـيصان يذكره صـدق نصيحتـه ويوبخه على تركهـا (هل رأيت حرب العـتوب) وهل تحـقق أنهم أقوى منا أم هل يحـتاج إلى برهان آخـر فجـعل وسكت.

وتسمى هذه الواقـعة (وقعة خكيكيـره) وذلك سنة (١٢٢٥) وخكيكيره اسم موضع فى البـحرين الزبارة والفريحـة. وبعد انتهـاء هذه الواقعة اخـتار الشيخ سلمان بن أحـمد سكنى (الرفاع) فنزله ثم بنى به (قلعـة عظيمة) على أساس قلعة فرير بن رحال وزير الشيخ الجبرى كما تقدم. سوى أنه اختصرها وجعلهـا أصغر مـن البناء الأول. ولما تم بناؤها كتبـوا على إحدى مـصراعى الباب (خيم السـعد بقصرك) وعلى المصـراع الآخر (جاء خيـر بقصرك) وكل جملة هى مـشتملة على تاريخ بناء القلعة وهو سنة (١٢٢٧). وجـعل الشيخ سلمان بلدة الرفاع قصـبة حكمه. وحفر غربى القلعة المذكورة البـئر المشهورة

(بالحنينية) والقلعة باقية إلى اليوم يسكنها بعض الخليفيين ووصلها سنة (١٣٤٠) ورأيت ذينك التاريخين المذكورين منقورين فى مصراعى باب القلعة بوضوح تام.

واختار الشيخ عبد الله بن أحمد سكنى المحرق ونزلها وبنى بها أيضا قلعة فى (حالة أبى ماهر) تسمى اليوم (قلعة أبى ماهر) وهى خربة مهجورة منذ وقعة الضلع الآتى ذكرها سنة (١٢٨٦).

وقعة المقطع

وتسمى دولة الإمام فى ستره

إن الظفر الذى حازه آل خليفة أشعل نار الحسد والبغضاء فى قلب (رحمه الجلاهمة) حتى تركه لا يقر له قرار ولا يهدأ له بال إلا بالإيقاع بآل خليفة. ولما كان عاجزا عن مناجزتهم ومقابلتهم عمد إلى أخذ ثأره ولكن من طريق المراوغة والختل. فأرصد سفينته لقطع طرق البحرين بنهب وقتل من يسابلها من الباعة والتجار وربما اغتنم الفرصة فنهب بعض أطراف البلد. ولما لم يظفر بطائل توجه إلى مسقط فقابل بل حاكمها (السيد سعيد بن سلطان) وأطمعه فى أخذ البحرين فجنح إلى قوله وأجاب طلبه:

وكان عادة تجار البحرين يسافرون إلى الهند لبيع لآليهم وابتياع الأمتعة من الهند فدخل مسقطا أناس من أهل البحرين منهم عبد الرحمن بن راشد آل فاضل بسفينته المسماة (الجابرى) ومحمد بن مقرن بن محمد آل خليفة بسفينته ومحمد بن صقر المعاودة بسفينته (التوكلى) وسيار بن قاسم المعاودة بسفينته (السلطانى) فقبض عليهم حاكم مسقط وسجنهم فى قلعة هناك تسمى (برج موزه الجلالى) وكانت فيه إذ ذاك أخته موزه بنت سلطان.

ثم إنه كتب إلى أهل البحرين كتابا يطلبهم بالدخول فى طاعته والانضمام تحت رايته ولما علم المسجونون بذلك تمكنوا من إرسال شخص سراً إلى البحرين ليشعر حاكمها بأن يجيب حاكم مسقط (بأن يقتل من عنده من أمراء وتجار البحرين لأنهم فى غنى عنهم وقد أيسوا منهم وقد سموا أبناءهم بأسمائهم) فلما وصل خط حاكم مسقط إلى الشيخ سلمان حاكم البحرين وفيه إما أن تدخلوا تحت الطاعة وإلا قتلت من عندى من أتباعكم) فأجابه الشيخ سلمان بما ذكر.

فجهز حاكم مسقط جيشًا بحريًا وسار به نحو البحرين وكان فى صحبته (رحمه الجلاهمة) ونزلا بالجيوش فى موضع على ساحل (مدينة سترة) واستقاموا بها ثلاثة أيام ولم تبرز لهم جيوش البحرين فقال السيد سعيد رحمه (عتوبك غابوا) أى ماتوا قاصداً بذلك تحقير قبيلة العتوب فغضب لذلك (رحمه) لأنه عتبى وقال له إذا أصبحنا ولم تظهر أعلامهم فاعلم بأنهم غابوا وكان رحمه قد بلغه خبر مبيتهم فى موضع يقال له (جدى على) فلما أصبحوا ظهرت أعلام أهل البحرين من بين النخيل فقال رحمه للسيد (هؤلاء عتوبى ظهروا فتوكل على الله) وكان الشيخ سلمان قد خرج لهم بجيشين. مشاة تحت قيادته ومعه أخوه الشيخ عبد الله والجيش الآخر فرسان تحت قيادته ابنيه خليفة وأحمد ابنى سلمان فلم يك إلا ساعة من نهار حتى أسفرت المعركة عن انكسار أهل مسقط فولوا الأدبار. وأخذ الشهرة فى هذا الميدان الشيخ خليفة بن سلمان وفاق على الأبطال والأقران وعلا العدو بالسيف والسنان وصار النصر حليف الخليفيين وقتل فى هذه المعركة أخو حاكم مسقط السيد سالم بن سلطان وقتل من أعيان أهل البحرين قاسم بن درباس من

الشظيب من آل ابن على. والشيخ محمد بن إبراهيم آل خليفة وأحد أولاد الشيخ عبد الله وتسمى هذه الواقعة (وقعة المقطع: أو دولة الإمام فى ستره) وذلك سنة (١٢٣٠) وإلى هذه الواقعة أشار محمد بن عثيمين فى قصيدته العينية التى مدح بها سمو الشيخ محمد بن ذى العظمة سمو الشيخ عيسى آل خليفة بقوله:

ويوم أتاهم باللهامى يقوده سعيد بن سلطان على الحرب مجمعا
سفينا كملتف إلا شاء يسوقه لمورد حتف لم يجد عنه مرجعا
فشاوره قبل الوصول ضراغم خليفية تستعذب الموت شرعا
وساقوه كأسًا مرة الطعم علقة على كرهه أضحى لها متجرعا
فأدبر لا يلوى على ذى قرابة وما زال مزؤد الفؤاد مروعا
وما كان خوارا ولا ملتبدا ولكن من لاقى أشد وأشجعا

وسنذكر القصيدة بتمامها فى الطبعة الثالثة إن شاء الله

ثم لما انكسر السيد سعيد أمام ضراغمه الخليفيين ورجع إلى مسقط هم بقتل أمراء وتجار البحرين المسجونين عنده فنهته أخته (موزه) وأنفته من الفتك بهم حيث أنهم أمسوا فى جوارها ولأنهم أسارى فى يده ولا فخر فى قتلهم وقالت له (دول على البحرين) أى جهز عليهم مرة ثانية وخذ بثأر أخيه فحشد جنوده وسار بهم فلما وصل إلى (جزيرة قيس) بلغ خبره لحاكم البحرين الشيخ سلمان بن أحمد فأرسل له وفدا من وجهاء البلدة تحت رئاسة السيد عبد الجليل بن السيد ياسين الطباطبائى والشيخ حمد بن عبد الله بن أحمد فذهب الوفد إلى (جزيرة قيس) وتفاوضوا معه فى الصلح فتم بينهما الصلح

على ما يرام ولكن فرض عـليهم مبلغًا عظيمًـا من الدراهم يؤدونه إليه سنويا فقبـلوا ذلك منه ثم فى الوقت نفسه تنازل لهم عن ثلاثة أرباع مطلوبـة كرامة منه للوفد فى خبر طويل.

وأطلق سراح المسجونين من أهل البـحرين ورجع إلى مقر حكمه ودفع الخليفيون ربع ذلك الخراج الذى تقرر على يد الوفد بضع سنين ثم قطعوه عنه وبقى الشيخ سلمان بن أحمد حاكمًا على البحرين إلى أن توفى سنة (١٢٣٦) فصار الحكم لأخيه الشيخ عبد الله ولكن نفوذه كان مقتصرا على المحرق فقط وأما أمور قصـبة الرفاع فالقائم بشؤونهـا المهمة ومعاشاه الجيـوش فهو الشيخ خليفة والشيخ أحمد ابنا سلمان بل ربما عبر عنهما بأنهما استقلا بجزيرة المنامة وفى السنة المذكورة حصل فى البحرين طاعون شديد يسمونه الضرب الأول.

* * *

الفصل الثالث
فى حكم الشيخ
عبد الله
وهو الحاكم الثالث

تولى الملك الشيخ عبد الله بن أحمد بعد وفاة أخيه سنة (١٢٣٦) وكان حازمًا منصفًا فأحبته الرعية وعاضده ابنا أخيه الشيخ خليفة والشيخ أحمد ابنا الشيخ سلمان ولكنه لم يصف له الحكم لكثرة ما حصل فى زمانه من الفتن والثورات وخروج بعض الرعايا عليه فقضى حكمه فى كدر عظيم كما سيظهر لك منها.

محاربة رحمه ومقتله

بالرغم على ما أصاب رحمة الجلاهمة من الفشل والاندحار فى الوقايع المتقدمة زمن الشيخ سلمان لم يقنط من أخذ الثأر ولم تقعد همته عن الأمل بالفوز ونوال الأمنية فأعاد الكرة بقطع طرق البحرين بقتل الأنفس وسلب الأموال. فلما كانت سنة (١٢٤٢) دخل ذات يوم القطيف بسفينته المسماة (غطروشة) فجرد عليه الشيخ عبد الله السفن مملوءة بالمقاتلة وخرج بنفسه يقودها وبمعيته الشيخ بن سلمان. فلما وصلوا (ميناء القطيف) حاصروه هناك.

فلما رأى رحمه أنه قد أحيط به شمر عن ساعد الجد وأمر برفع شراع سفينته وأقبل بها عليهم موجهًا صدر سفينته على وسط كل سفينة تعارضه لأجل أن يكسرها فتغرق. فتنحى الكل عنه حتى خرج إلى عرض البحر فكروا عليه وأحدقوا به من كان جانب وجعلوا يهاجمونه بصدور سفنهم فى بادئ الأمر (كعادتهم فى الحرب البحرى بالسفن) وكان رحمه كف بصره آخر عمره فجعل يسأل قومه عن السفن الهاجمة عليه ومن رئيسها فيخبروه وهو يقول. هذا لا يجسر على مقابلتنا وهذا سفينته ما تلحقنا. ومع ذلك فإطلاق

الرصاص من البنادق متبادل بين الطرفين حتى أقبلت سفينته فأخبروه بأن رئيسها الشيخ أحمد بن سلمان (فقال هذا يطابقنا ولا بد لأن جنبه لم يلامس ناعمات الأبدان) أراد بذلك أنه لم يتزوج. وفى المثل (مفعول الشباب أمضى من حد السنان).

ثم بعد قتال شديد لاصقت سفينة الشيخ أحمد المذكور سفينة رحمه فتجالد الفريقان بالسيوف واشتد بينهم الضرب والطعان وتقارعا بأنواع الأسلحة الحديدية. وكان بجانب رحمة ابن له صغير وعبده المسمى (طرارا) واقف على رأسه فجعل يسألهما عن المصادمات وعمن قتل حتى وصل أعداؤه إلى (الصارى) أى الدقل. ثم إلى الحاشية. ثم إلى (النيم) أى سطح مؤخر السفينة وكان حينئذ جالسًا فى خزانة السفينة فأخذ ابنه وجعله فى حجره ثم عمد إلى نار فى رأس (النارجيلة) التى كان يشرب منها الدخان فألقاها فى ذخيرة البارود التى كانت تحته فانفجرت السفينة بهم وقتل هو وابنه ومن معهما متأسيًا بقول الزباء (بيدى لا بيد عمرو) وتسمى هذه الواقعة (ذبحة رحمة الجلاهمة) وذلك سنة (١٢٤٢ هـ).

وقعة قزقز

وبعد مرور سنتين على مقتل (رحمة بن جابر الجلاهمة) توجه ابنه بشر إلى مسقط لتحريض حاكمها السيد سعيد بن سلطان على مهاجمة البحرين متخذًا امتناع حاكم البحرين عن دفع (الدراهم) التى صار عليها الإنفاق بعد (وقعة سترة) وسيلة لإلقاء البغض فى صدر حاكم مسقط وإغرائه بإشهار الحرب على أهل البحرين انتقامًا لأبيه فحازت أقواله موقعها من القبول.

فجهز السيد سعيد سفنًا كثيرةً شحنها بالجنود وسار بها حتى أرسى على ساحل البحرين أمام قرية يقال لها (الجفير) ثم أنزل جنوده إلى البر.

وكان لما علم الشيخ عبد الله بقدوم أعدائه حشد من جنوده جيشين مشاة وفرسانًا فالأول تحت قيادته والثانى تحت قيادة الشيخ خليفة بن سلمان وبرز الكل للميدان. فى موضع يقال له (قرقز) ولما التقى الفريقان وحمى وطيس القتال أخذت سيوف عساكر البحرين مأخذها من المسقطيين وولوا الأدبار فطاردهم الفرسان. بجياد كأنها العقبان. حتى اضطروهم إلى اقتحام البحر طالبين سفنهم فغرق الكثير منهم. ولقد كان يصيد أهل البحرين السمك بعد مضى شهرين من الواقعة فيجدون فى بطونها بعض أعضاء المسقطيين.

وقد غنم جيش العتوب من المسقطيين سفينة شراعية كانت خصيصًا لركوب قائد الأسطول الشراعى (السيد سعيد) ثم إن بعض أبناء آل خليفة الصغار تشاجروا على امتلاك تلك السفينة فأمر الشيخ عبد الله عليها فأحرقت قطعًا للنزاع الحاصل بين الفتيان.

وقد حضر هذه الواقعة (مزيد بن هذال) مع خمسين رجلا من قومه (العمارات) نصيرًا لآل خليفة. أتاهم زائرًا فحصلت الواقعة فانضم وبرز معهم لميدان الوغى. وتسمى هذه الواقعة (وقعة قزقز) وذلك سنة (١٢٤٤) وقد أرخوها بقولهم (بالله سعيد غلب) ويقال أن عدد قتلى وغرقى المسقطيين نحو (٣٠٠٠) شخص ويستشهدون لذلك بقوله أهل مسقط أنفسهم من قصيدة نبطية.

عجايب يا بنى عتبه عجايب ثلاثة آلاف ما فيهم شايب

وأما خسارة أهل البحرين فطفيفة جدًا قتل فيها شخص يقال له (ابن عرفة) وأما الجرحى فكثيرون.

وقعة سيهات
أو حرب القطيف

وفى سنة (١٢٤٩) تجدد الخلاف بين الشيخ عبد الله حاكم البحرين وبين تركى بن عبد الله أمير نجد فجهز الأول جيشًا بحريًا وسار به إلى (دارين) ففتحها. ثم تقدم إلى (تاروت) فاحلتها أيضا ثم سار بسفنه إلى بلدة (سيهات) وهى بلدة من ملحقات القطيف فحاصرها فجهز تركى عبد الله جيشًا تحت قيادة ابنه فيصل فسار به حتى نزل (المريقيب) وهو موضع غربى سيهات. وبدأ القتال بين الفريقين فصار جيش البحرين ينزلون إلى البر نهارًا للقتال ويعودون إلى سفنهم ليلا.

وكان فى مدة الحصار والقتال توفى الشيخ خليفة بن سلمان فى سفينة فنقل عليها إلى البحرين ودفن بها. ودام الحصار نحو (٤٠) يومًا. ثم تبين لأهل سيهات سوء العاقبة وعلموا بأنهم مهددون بخطر عظيم إذا فتحت بلدتهم عنوة حيث يكونون طعمة وسلبًا للجيشين المدافع والمهاجم هذا من جهة. ومن جهة أخرى أن تقليدهم مذهب الشيعة قد عرضهم لاضطهاد أمراء نجد الوهابيين وظلمهم إياهم.

وتأكدوا عدل أل خليفة وحلمهم فراسلوا الشيخ عبد الله وعرضوا عليه تسليم البلد له على أنه يؤمنهم على أنفسهم وأموالهم فقبل ذلك ووفى لهم به واستولى على البلدة.

ومع ذلك فقد دام القتال مع النجديين مدة غير قصيرة بعد احتلال البلدة إلى أن بلغ فيصلا خبر قتل أبيه فى نجد بيد ابن أخته مشارى بن عبد الرحمن السعود وكان ذلك فى أواخر سنة (١٢٤٩) فاضطر فيصل للانسحاب عن سيهات إلى الإحساء ومنها توجه إلى الرياض حيث حاصر فيها قاتل أبيه. واشتد بينهما القتال أيامًا ثم إن فيصلا عرض على ابن عمته (مشارى) الأمان على أن يخرج من البلدة فأبى (مشارى) وثبت يقاتل ويدافع عن نفسه إلى أول سنة (١٢٥٠) حيث تمكن جمع من محبى فيصل وفتحوا له باب السور فدخل فيصل البلدة وحاصر (مشارى) فى بيته فدافع عن نفسه مدافعة الأبطال حتى قتل. وكان قتله بعد مضى نحو (٤٠) يومًا على قتل تركى بن عبد الله كما بيناه فى تاريخ نجد وقد قتل فى حرب سيهات قائد جيوش فيصل المسمى (البواردى) وقتل من الفريقين خلق كثيرون. وتسمى هذه الحرب (وقعة سيهات) ويسميها أهل نجد (حرب القطيف) وذلك سنة (١٢٤٩) كما تقدم.

وكان لما انسحب فيصل عن سيهات اكتفى الشيخ عبد الله بها وعين عليها أميرًا من قبله وقفل راجعًا إلى البحرين إذ لم يبلغه مقتل تركى ولا القتال الحاصل فى نجد. ثم بعد مدة بلغه ذلك فشرع يتأهب مرة ثانية للزحف على القطيف ولكن قبل تكامل قوته حدث بينه وبين أولاده خلاف أدى إلى (وقعة الحويلة) الآتى ذكرها. فاشتغل بتلافى ذلك الخلل عن فتح القطيف وغيرها. وآل ذلك النزاع إلى ضعف مملكة البحرين وضياع سيهات وغيرها وهكذا كل شقاق داخلى يؤدى إلى خلل خارجى (قال تعالى: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾.

وقعة الحويلة

كان للشيخ عبد الله بن أحمد عشرة أولاد. وهم مبارك، وحسن، وناصر، وحمد، وراشد، ومحمد، وأحمد، وعلى، وحمد الثانى، وراشد الثانى، وقد سمى الأخيرين باسمى أخويهما اللذين قتلا فى حروبه.

وكان أخوال (محمد وأحمد وعلى) من قبيلة (آل بن على) المشهورين بالشجاعة والثبات ووفرة الأموال. فحاول هؤلاء الأبناء الثلاثة انتزاع الملك من يد أبيهم معتمدين على توفر قوة أخوال الاقتصادية والسياسية. فبارحوا البحرين مغاضبين أباهم ونزلوا (الحويلة) بالتصغير اسم قرية فى الطرف الشمالى من بر قطر. فاسترضاهم أبوهم وحذرهم عاقبة الغرور. والانشقاق. فلم يراعوا حقوقه ولا منزلته بل ولم يلتفتوا لكلامه فغاظه منهم عقوقهم له ووقاحتهم.

فأمر حفيد أخيه محمد بن خليفة بن سلمان بأن يتجهز لقتال أولاده وكان ذلك سنة (١٢٥٠) فلبى الشيخ محمد طلب عم أبيه وخرج نحو المذكورين بجيش عظيم وهاجم به الحويلة بحرًا. وبعد قتال شديد انكسر (أبناء الشيخ عبد الله المذكورين) وأذعنوا لطاعة أبيهم وطلبوا العفو فعفى عهم وفسح لهم بالعودة إلى البحرين فرجعوا إليهم خجلين من سوء صنيعهم وتسمى هذه الحادثة (وقعة الحويلة) وهى كانت السبب فى تقهقر الشيخ عبد الله عن الزحف نحو القطيف. وآل الأمر أيضًا إلى ضياع سيهات كما تقدم. ولله فى خلقه شؤون.

وقعة الناصفة

وفى سنة (١٢٥٨) حدث بين الشيخ عبد الله بن أحـمد حاكم البحرين وبين حفيد أخيه (الشيخ محـمد بن خليفة بن الشيخ سلمان) نزاع شديد على الحكم. وكان الشيخ محمد المذكور قد استـعد للأمر فتمكن من حصر الحاكم فى جزيرة المحرق.

فجهز الشيخ عبد الله جـيشين أرسل أحدهما المؤلف من بنى هاجر إلى ابنى أخيه محمد وحمود ابنى سلمان الساكنين فى الرفاع ليقوداه إلى قتال ابن أخيهما.

وقاد الثـانى بنفسه مـتوجهًـا به نحو (سوق الخـميس) فلمـا بلغ الشيخ محمـد بن خليفة الخبـر جرد جيشًـا ليصد جيش الشيخ عـبد الله الأول عن الوصول إلى الرفاع وسـار نحوه وقبل وصول الجيش الأول إلى الرفـاع تلاقيا وتواقع الجيـشان فى موضع يسـمى (الناصفة) فى جـزيرة سند فكانت الدائرة على جيش الشيخ عبد الله فانسحبوا إلى (الحورة) قرب مدينة المنامة. وتسمى هذه الحادثة (الناصفة).

وقعة سوق الخميس

ولما انكسر جيش الناصفـة فى جزيرة سند ورجع إلى (الحورة) سار من هناك إلى (سوق الخميس) وانضم إلى الجيش الثانى الذى يقوده الحاكم الشيخ عبد الله.

فبرز الشيخ محمد بن خليفة لقتال عن أبيه بثبات جأش. وجرت بينهما معركة شديدة كانت نتيجتهـا انكسار الشيخ محمد بعد أن قتل أخوه دعيج بن

خليفة. وقتل للشيخ عبد الله حفيده محمد بن مبارك وتسمى هذه المعركة (وقعة سوق الخميس) وذلك سنة (١٢٥٨).

وقعة الحنينية

ولما انكسر الشيخ محمد بن خليفة بن سلمان (فى وقعة سوق الخميس) توجه نحو نجد بعد أن عمد أخاه الشيخ على بن خليفة بحشد جيش سرًا تحت الطلب. وينتظر تعاليم أخيه فبدأ الشيخ على بجمع المقاتلة سرًا ولما وصل الشيخ محمد بن خليفة إلى نجد تقابل مع (أمير الرياض) عبد الله بن ثنيان وطلب منه المساعدة فلم يساعده حيث أنه حديث عهد بالحكم. فرجع الشيخ محمد إلى قطر. وأرسل إلى قبيلة (آل ابن على) يستقدمهم. وهم إذ ذاك فى (جزيرة قيس) بن عميرة الكائنة قرب ساحل فارس. حيث أنهم ظعنوا من البحرين مغاضبين لحكامها فأتوه مسرعين. فجعل يحشد الجيوش حتى اجتمع لديه جمع غفير من قبائل العرب أخصها (آل بن على) ورئيسها يومئذٍ عيسى ابن طريف. و(النعيم) ورئيسها جبر بن ناصر. و (أل أبى كواره) ورئيسها محمد بن سعد. وكان معه بعض من عشيرتنا (آل نبهان) متابعين أخوالهم آل أبى كوارة و (قبيلة الجلاهمة) ورئيسها بشر بن رحمة بن جابر.

فأرسل الشيخ محمد قبيلة النعيم أولا. فى المقدمة إلى البحرين لأنه لم يكن لديه من السفن ما يكفى لحمل جميع الجيوش دفعة واحدة وأمرهم بأن ينضموا إلى ما يجمعه أخوه الشيخ على من المقاتلة. فلما وصلوا خرج لهم الشيخ على يقود جمعًا عظيمًا. وكان معه سائر آل سلمان الخليفيين وأتباعهم ما عدا الشيخ محمد بن سلمان فإنه كان مع عمه الحاكم. وسار الشيخ على ابن خليفة بمن معه من الجموع نحو (الرفاع) حتى نزل قرب ماء يسمى (الحنينية).

والتقى هناك بـجيش الشيخ عـبد الله فتـقاتلوا قـتالا شديدًا أسـفر عن انتصار جيش الشيخ على فتقدم إلى الرفاع واستولى عليها.

وممن قتل فى هذه المعركـة الشيخ محمد بن أحمد بن سـلمان آل خليفة وتسمى هذه الحادثة (وقعة الحنينية) نسبة إلى الماء الذى وقعت قربه وذلك سنة (١٢٥٨). أيضًا. وبعد أن اسـتولى الشيخ على على الرفـاع وصل إليه أخوه الشيخ مـحمـد بن خليفـة ببقيـة الجيـوش المتقـدم ذكرها إلى البـحرين ونزل بجمـوعه خـارج البلدة من الجهـة الجنوبية. ثم زحف بجـموعه علـى المنامة فاحتلها. فتقلصت قوة الشيخ عبد الله إلى المحرق. ولم يبق بيده سواها.

وقعة المحرق

أو وقعة الساية

ولما انحصر الشيخ عـبد الله فى المحرق عبر نحوها الشـيخ محمد ونزل بجيـوشه على سـاحلها عند ينبـوع ماء عذب فى البـحر يسمـى (الساية) وبه سميت الواقعة. ثم أمـر الشيخ محمد جميع قومـه بأن يغرقوا سفنهم هناك. وذلك لئلا يتخذوها ملجأ لهم. فتحـدثهم أنفسهم بالفرار عند المضايقة. (ولما انتهت الواقعة عادوا إليها فأخرجوها).

فبرز لهم الشيخ عبد الله بما عنده من الرجال فبعد مناوشة طفيفة انكسر جيش الشيخ عبد الله بدون انتظام واضطر الشيخ عبد الله بأن يتحصن ببعض رجاله فى (قلعة أبى ماهر) الكائنة فى جنوب المحرق واعتصم بعض أبنائه فى (قلعة عراد) فلم يتعرضهم الشيخ محمد بل جعل يثبت أموره فى داخل البلدة فتسـرب غالب أهل القلاع مع الشيخ عبـد الله إلى بلدان فارس فتفرق فـيها معظم جيـشه كل قبيلة فى بلدة. ونزل هو بمن معـه فى موضع يسمى (نخل

هاشل) من بلدة (نابند) ولم يقتل فـى هذه الحادثة سوى رجل مختـل الشعور يقال له (صادق) وأما الجرحى فكثيرون.

وممن أصيب من الرأس الشـيخ يوسف بن محمد بن إبراهيم آل خـليفة بجراحات مثخنة مات مها بعد بضعة أيام. وكان مع الشيخ عبد الله بن أحمد جملة من عشـيرتنا منهم حمد بن مـوسى بن نبهان بن أحمد الـنبهانى. وابنا عمه ناصر وسلطان ابـنا نبهان بن أحمد وجملة من عائلاتـهم وأتباعهم. وقد أرخ هذه الحادثة السيد عبد الجليل بن ياسين الطباطبائى بقوله:

ببعض ما جـرى أتى تاريخه (بوقعة البـحرين ذاب مال) وأرخهـا غيره بقوله: شـرٌّ نَحَوَ شر. وذلك سنـة (١٢٥٨) ثم سار بعض أولاد الشيخ عـبد الله إلى (الدمام) بلدة من ملحقات الإحساء فاستوطنوها وسار الشيخ عبد الله إلى الكويت مستنجداً بحكامها (آل صباح) فـلم يتحصل على مطلبه فبارحها إلى نجد لمقابلة أميرها للغـرض نفسه فلم يتوفق أيضًا. وفى سنة (١٢٦٥) يمم (مسقطًا) للاستنجـاد بسلطانها السيد سعيد فلما وصلهـا أصيب بحصر البول فمات منـه بعد أيام قلائل. وكانت مـدة حكم الشيخ عبد الله على البـحرين (٢٢) سنة: وكان فى زمنه من مـشاهير العلمـاء الأجلاء الشيخ عبـد المحسن الصحاف المالكى. والشيخ حسن الدوسرى ثم البصرى الشافعى.

***

الفصل الرابع
فى حكم الشيخ
محمد بن خليفة
وهو الحاكم الرابع

استتب له الأمـر وتم له الحكم بعد أن كسر عم أبيه فى (وقـعة المحرق) سنة (١٢٥٨) كما أسلفنا. وأفـعاله خير شاهد على حزمـة وأصالة رأيه ولقد كـان شجـاعًا شـديد البـأس وكان قـد جمع بين الحـلم والوقار والمهـابة مع البشاشة. وكان له من صدق الفراسة والإصابة فى الزكاء والذكاء لا سيما فى تفسير. رؤياه المنامية ما يكاد أن يجعله ملهمًا حتى أنه قلما أخطأ فى شىء من ذلك وله نوادر مشهورة بهذا الباب سأورد بعضها للفكاهة والاستشهاد إن شاء الله ومن دهائه أنه وضع فى (قلعـة أبى ماهر) فوق البـرج الغربى من الجـهة الجنوبية علمًـا عثمـانيًا: وعلى البرج الشرقى مـن الجهة المذكورة أيضًـا علمًا إيرانيًا. فكان كلمـا تحكمت عليه إحـدى الدولتين ادعى النسبـة إلى الأخرى وهكذا تخلص من كل نفوذ بمدافعة الواحدة بالثانية ولكن نتج من اضطرام نار الحقد فى قلوب الأجانب الذين ساءهم ارتباطه بالدولتين الإسلاميتين فحركوا عليه العـرب وأمراءهم ولكن لشـدة حزمه لم ينالوا منه شـيئًا إلا بعـد مضى (٢٦) سنة على حكمه.

وكان له (١٨) ابنًا وهم خليفة. وأحمـد وعلى، وجابر وسلمان وناصر وعبـد الرحمن وحمد وعـبد الله والشيخ راشـد وعبد الله وسلطان وصـقر. وعبد العزيز. وإبراهيم. والشيخ إبراهيم. والشيخ فارس وعبد الرحمن.

واشتـهر فى زمـانه من العلماء. الشـيخ عبـد اللطيف بن الشيخ عـبد المحسن الصحـاف المالكى والشيخ راشد بن عيسى المـالكى والشيخ حسن بن يوسف الطيـور آل يوسف المالكى وتوفى فى لنجـه سنة (١٣١٥) وله رأيه فى الرد على الوهابيـة نحو (٥٣) بيتًـا والشيخ عـبد المحسن بن جـامع الحنبلى.

والشيخ عثمان بن جامع الحنبلى. والشيخ ملا محمد بن عبد الله آل محمود الشافعى تولى القضاء ثم استعفى عنه.

وقعة أم سويه وقتل عيسى بن طريف وهو خراب الدوحة الأول

وبعد أن توطد الحكم للشيخ محمد بن خليفة وخضعت لسطوته غلب العشائر. أظهر عيسى بن طريف رئيس قبيلة (آل بن على) رغبته فى ولاية قطر وعرض بذلك إمام الشيخ محمد فأسند إليه الحكم فتوجه عيسى بن طريف نحو قطر مقر وظيفته مظهرًا الطاعة والإخلاص لآل خليفة وكونه عاملا لهم. ولكنه مبطن خلاف ما أظهر. وحينما وطئت رجله قطرًا. أخذ يجمع العشائر للحرب فبت طلبه جميع عشائر تلك الجهة ما عدا (قبيلة النعيم) فجهز تلك العشائر. بعد أن أرسل إلى أبناء الشيخ عبد الله المقيمين فى (الدمام) يستقدمهم إليه لإتمام مشروعه فأتاه منهم (الشيخ مبارك بن عبد الله) يقود جيشًا من بنى هاجر.

فاشتد عزمه على مهاجمة البحرين. وأرسل (إخطارًا) إلى حاكم البحرين أغلظ فيه القول ومما جاء فيه أنه قال يلزم عليكم أن تردوا (أملاك وأموال) الشيخ مبارك المغصوبة منه فى (سترة) وإلا (شققت شقالا يرفى) فعلم الشيخ محمد بن خليفة مرمى كلامه وفهم بأن ذلك (إعلان للحرب) وأرسل الكتاب مع الرسول إلى أخيه الشيخ على بن خليفة. وهو إذ ذاك بالمنامة يستطلع رأيه.

فقال الشيخ على لرسول عيسى بن طريف لما مثل بين يديه قل لصاحبك (أن الدم هو الذى يرفو ذلك الشق) فحشد الشيخ محمد جنوده ووجهها نحو

قطر تحت قيادة أخيه الشيخ على وسار المذكور حتى نزل فى (المرونة) وهو موضع فى الجهة الشرقية من قطر.

وكان لما امتنعت قبيلة النعيم من الانخراط فى جيش ابن طريف تهددها بالحرب وشدد عليها الطلب فى الانضمام معه. فأرسل رئيسها إلى الشيخ محمد حاكم البحرين يستغيث به ويستنجده على ابن طريف. ففى الحال توجه الشيخ محمد فى خاصة رجاله إلى قطر ونزل فوراً عند قبيلة النعيم ووجدها مستعدة للحرب. فلما بلغ عيسى بن طريف وصول الشيخ محمد قطراً خشى من اجتماع جيشه بجيش أخيه الشيخ على فيعسر عليه ملاقاتهما. فبادر هو بالزحف نحو الشيخ محمد بجموعه المؤلفة من قبيلة المناصير ومعه الشيخ مبارك بن عبد الله يقود جموع بنى هاجر. وفى ٩ ذى الحجة عام (١٢٦٤) التقى الفريقان على ماء يسمى (أم سوية) بالتصغير. وتقاتلا قتالا شديداً انتهى بقتل عيسى بن طريف وهزيمة جيوشه.

فأرسل الشيخ محمد إلى أخيه الشيخ على يخبره بالنصر فجاء إليه وهنأه بالظفر. ورجعا إلى البحرين حاملين لواء النصر. وتسمى هذه الحادثة (وقعة أم سوية. أو خراب الدوحة الأول) لأن بلدة الدوحة هى سكنى عيسى بن طريف فكأنها خربت بمقتله.

وعيسى بن طريف المذكور هو الذى فتح (بمباسه) من جنوب أفريقية مع عشيرته (آل بن على) مساعدة لحاكم مسقط وزنجبار السيد سعيد بن سلطان آل أبى سعيد (كما بينا ذلك فى تاريخ مسقط).

وقعة تنورة

ووصول ابن سعود إلى مسيمير

قد وقعت كسرة (أم سويه) موقعًا سيئًا لدى الشيخ مبارك بن عبد الله والذى زاد همه وحرك فيه ثائرة الغضب وأخذ الثأر وفاة والده غريبًا بمسقط كما تقدم عند (وقعة المحرق) فأخذ يخط الخطط ويعد العدد لشفاء غليله إلا أن قلة أتباعه من جهة وحزم الشيخ محمد بن خليفة من جهة أخرى. قد حالا دون نيل أمنيته فلما كان سنة (١٢٦٧) اتفق هو وأخوته الخمسة الذين كانوا معه فى الدمام (وهى قرية من توابع القطيف) على الاستنجاد بأمير نجد فيصل بن تركى بن سعود فأمدهم المذكور بجيش. ثم جمع جموعًا وسار بها بنفسه نحو قطر حتى نزل موضعًا يقال له (مسيمير) بالتصغير ليتمكن من إمداد جيش آل عبد الله البحرى.

فأركب آل عبد الله جيوشهم السفن مع ما تحصلوا عليه من المدد من سعود وساروا بالكل نحو البحرين.

ولما بلغ الشيخ محمدًا خبر قدومهم نحو بلده بادر بتجهيز جيشين برى تحت قيادة أخيه الشيخ على وأرسله نحو قطر لمناجزة آل عبد الله وبحرى قاده الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله بن خليفة آل خليفة فالتقى الجيش البحرى بآل عبد الله عند موضع يسمى رأس (تنورة) وجرت بينهما معركة عظيمة أسفرت عن انكسار جيوش آل عبد الله بعد أن قتل رئيسهم الشيخ مبارك وأخوه الشيخ راشد ابنا الشيخ عبد الله. وقتل أيضًا من كبار خواصهم بشر بن رحمة الجلاهمة و (مريط) من بنى هاجر. وتسمى هذه الواقعة. (وقعة تنورة) وذلك سنة (١٢٦٧ هـ).

وقعة الدولاب

وفى سنة (١٢٧٠) جهز آل عبد الله جيشًا لمهاجمة البحرين وقرروا مهاجمتها على حين غفلة من أهلها. فلما دخل فصل الربيع وخرج أهل البحرين للغوص على اللؤلؤ حسب العادة رأى آل عبد الله الفرصة مناسبة للهجوم فجمعوا سفن (أهل قطر) وجعلوا يشحنوها بالرجال للمسير إلى البحرين.

فلما انقطعت سفن أهل قطر عن مسابلة البحرين. أحس بذلك الشيخ على بن خليفة بالمكيدة وتأكد له ذلك. وكان مقره يومئذٍ فى المنامة وأخوه الحاكم فى (المحرق) فأرسل الشيخ على إلى الحاكم يعلمه بانقطاع سفن أهل قطر. وأنه يخشى أن يكون ذلك لمكيدة هم عازمون عليها. ثم إن الشيخ على اتفق مع أخيه الحاكم على أنه إن هاجمه أحد (يطلق مدفعين فقط) علامة على ظهور طلائع الأعداء.

فلما كان اليوم الثانى من المذاكرة وصل آل عبد الله بجيوشهم ونزلوا أمام نخل يسمى (دولاب منى) فى مقاطعة (سنابس) من البحرين. وقبل أن يستكمل خروجهم من السفن بلغ الخبر للشيخ على فأمر فى الحال بإطلاق (إشارة) لأخيه الحاكم فى المحرق وبادرهم هو بمن معه من الأبطال وأتاه أخوه راشد بن خليفة بجيش من الفرسان وهاجما الأعداء بما لديهما من القوة وكان بعضهم قد خرج من السفن فأصلياهم نارًا حامية بالمدافع والبنادق فبهت الخصم لما رآه من وفرة جيش البحرين وعظيم استعدادهم. بينما كان يظن أن البلدة خالية من الرجال بسبب (الغوص) وأهلها غافلون.

وبعد مناوشات طفيفة فر الأعداء إلى سفنهم لا يلوون على شىء ولم

يقتل منهم سوى عشرة أشخاص فقط ثم وصل الحاكم بجيشه من المحرق فوجد العدو قد انكسر بيسالة أخيه الشيخ على فأثنى على شجاعة أخيه وشدة حزمه وحسن فراسته وأصالة رأيه وعلو همته.

وكان فى ضمن جيش الشيخ على يومئذٍ الشيخ سالم بن درويش آل عجمى رئيس قبيلة (المنانعة) وأحد شجعان العرب المشهورين وأرخوا هذه الواقعة بلفظ (خرّعَت) لأنها خرعت العدو أى أرهبته ففر بدون قتال يذكر. وذلك سنة (١٢٧٠) وسميت وقعة الدولاب نسبة إلى دولاب نخل بلدة منى. والدولاب فى اصطلاحهم هو الناعور أى السوانى التى يستقى بها الماء.

وفى هذه السنة ولد والد المؤلف فنذكر ترجمة حالة استطرادًا.

* * *

علامة الحجاز الشيخ خليفة بن حمد النبهانى. بلبسه فى الفيافى أثناء تجوله فى وادى نعمان لهندسة (عين زبيدة) أخذ رسمه سنة ١٣٤٢

(ترجمة حاله) مع قسم من ترجمة عشيرتنا (آل نبهان فنقول) أنهم منسوبون لنبهان بن عمرو بن الغوث بن طىء أبى القبيلة المشهورة بالكرم (كما سنذكر ذلك عند قبائل الحجاز).

ومنهم زيد الخير النبهانى الصحابى الشهير الذى وفد على النبى ﷺ فى وفد طىء فأسلم فسماه النبى ﷺ زيد الخير. وكان قبل ذلك يسمى زيد الخيل لكثرة ركوبه لها فى المعارك والغزوات وقال له النبى ﷺ (ما وصف لى أحد فى الجاهلية ورأيته فى الإسلام إلا رأيته دون وصفه غيرك وهو الذى جز ناصية عامر بن الطفيل ا هـ من الاستيعاب لابن عبد البر.

ومكث زيد الخير بالمدينة المنورة بعد أن أسلم يغزو مع الصحابة إلى زمن خلافة أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه حيث قفل راجعًا إلى وطنه (حايل) فأدركته منيته فى الطريق قبيل وصوله حايلا فمات رحمه الله.

ولم تزل آل نبهان وطىء يفتخران به. ولذلك يقول بن مقرب فى قصيدته النونية التى قالها سنة (٦٠٢ هـ).

وجاءت بأولاد التبايع حمير

ومدت بضبيعيها إلى الفخر كهلان

وقالوا لنا الأنصار أوس وخزرج

وحسبك من فخر له الذكر والشان

وجاءت بنو كعب بعبد مدانها

وطالب (بزيد الخير) طىء ونبهان

وعدوًا على العلات أوسًا وحلقا

على ثقة أن لا يسساميه إنسان

ومن مشاهير بنى نبهان أيضًا (عروة بن زيد الخير) النبهانى وهو الذى فتح الرى ودستبى فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه. قال ياقوت فى معجم البلدان - قال لوط بن يحيى كتب عمر رضى الله عنه إلى عمار بن ياسر وهو عامله على الكوفة بعد شهرين من فتح نهاوند يأمره أن يبعث عروة بن زيد الخير النبهانى إلى الرى ودسبى فى ثمانية آلاف ففعل وسار عروة النبهانى لذلك فجمعت له الديلم وأمدوا أهل الرى وقاتلوه فأظهره الله عليهم فقتلهم وذلك سنة عشرين من الهجرة. ا هـ وكان سكنى بنى بنهان أرض حايل ومنبثين بين جبلى طى (أجا وسلمى) ثم تفرقوا فى الفتوحات الإسلامية فنزل بعضهم نواحى اليمامة. وبعضهم استوطن بر قطر. وقسم منهم سكنوا عمانا (وكانت جدود المؤلف) ممن نزلوا أخيرًا (بر قطر) فى حدود القرن العاشر من الهجرة قرب الزبارة ومكثوا هناك زمنًا طويلا. ثم انتقلوا إلى (جزيرة أوال) ثم لما تغلب على الجزيرة الإيرانيون رجع آل نبهان إلى قطر وسكنوا الزبارة. ثم لما حمل الخليفيون على جزيرة البحرين سنة (١١٩٧) وتم لهم النصر على الجزيرة عاد آل نبهان واستوطنوا (جزيرة البحرين). ثم لما حصلت الفتن الأخيرة بين الخليفين من عام ١٢٥٨ إلى ١٢٨٦ كما هو سيوضح.

فكان بنو نبهان منقسمين قسمين قسم مع آل عبد الله الحكام السابقين. وقسم مع آل سلمان جدود الحكام الحاليين من الخليفيين فلما تغلب الحزب الثانى فر من البحرين غالب الحزب الأول بمن تبعهم إلى (فارس) ثم لما هدأت

الفتنة. رجع بنو نبـهان إلى (الدمام) من ملحـقات الإحسـاء مع أخوالهم (آل أبى كوارة) وتبـادلوا الصلح مع آل سلمان ولما تم ذلك رجع جميع آل نـبهان إلى جزيرة البحرين.

فاستحسن الشيخ خليفة بن حمد بن موسى بن نبهان سكنى مكة المشرفة رغبة منه فى طلب العلوم الراقية. فوجهه والده إليها فى أواخر سنة (١٢٨٧) مع والدته وسنه يومـئذٍ ١٧ حـيث أن والدته كانت سنـة (١٢٧٠) كما تـقدم فسكن أم القرى مع أمه. ثم بعد بضع سنين لحقه أبوه حمد بن موسى المذكور واستوطن مع ابنه مكة المشرفة إلى أن أدركتـه منيته بأشرف البقاع فى (٢٤ ذى الحجة عـام ١٢٩٩) ودفن بالمعلى فى القسم المسمى (بالسليـمانية) وهذا دليل على سعادته وحسن نيته حيث قضى نحبه بأرض قبلته رحمه الله. ثم توفيت والدة الشيخ خليـفة سنة (١٣٠٠) ودفنت فى المعلى أيضًا فى القـسم المسمى (بشعبة النور) خلف ضريح عبد الله بن الزبير بن العوام رضى الله عنهما.

وظل الشيخ خليفـة بن حمد مثابرًا على طلب العلوم العـالية والمعارف الراقية فى المسـجد الحرام حتى ارتقى إلى درجة التدريس والتـأليف وهو ميال إلى عدم التظاهر والافـتخار. متواضع للـكبار وللصغار. حليم شـجاع كريم النفس ذو همة عالية ورأى مصيب تستـشيره وتستنصحه الأباعد والأقارب فى الأمور المهمـة ويقر له الكل ذلك: وله مهارة تامة فى الرمى بالبنادق ومـعرفة كـاملة فى غوص البـحـار (حيث أنه قـد مارس اسـتـخراج اللؤلؤ مـدة من الزمان). ثم تأهل بزوجـة من آل بنى حديد من الشيابين (أى بنى شـيبان) بن سعبلة بن عكابة فرزق منها بذكورًا وإناثًا فأكـبر الذكور هو نجله الشيخ محمد (المؤلف) وكانت ولادته سنة (١٣٠١).

ثم فى زمن إمارة الشريف عون الرفيق بن محمد بمكة المشرفة عين الشيخ خليفة المذكور إمامًا فى محراب السادة المالكية بالمسجد الحرام فباشر تلك الوظيفة الدينية فى غرة محرم من عام (١٣٢٣) ولم يزل بها إلى اليوم. ثم حاز (مرسوم التدريس) بالمسجد الحرام وعد فى عقد علماء مكة العظام وذلك فى رجب من العام المذكور ثم عين مهندسًا لتعمير عين زبيدة الزعفران من سنة (١٣٢٦) ثم انضمت له رآسة تقسيم عين زبيدة فى داخل مكة.

وفى أثناء اشتغاله بهندسة تعمير العيون ألف عدة تآليف عظيمة الشأن جلها فى فن الهيئة وعلم الميقات. منها كتابة (الوسيلة المرعية لمعرفة الأوقات الشرعية) وكتاب ثمرات الوسيلة لمن أراد الفضيلة فى العمل بالربع المجيب). وهو الذى مدحه الحاج أحمد حمدى بن ملا حسين البصرى بقوله:

هو العلم كم فى الناس يعلو به كعب
هو المجد إلا أن أدراكه صعب
ولا يدرك الآمال من لم يكن لها
صبورًا ولم يعى ولو صادف العطب
وهل تحسبن المجد تمرًا تلوكه
وهل تملك البلدان إن لم يكن حرب
فكافح جهالات الهوى تحظ بالذى
تروم من العليا وماذا لكم لعب
لعلك قد تمسى وأنت مقارب
(خليفة النبهان) فى بعض ما تصبو

فـفـخـــر بنى طيى لنبـــهـان فى الورى

وفـخـر بنى النبـهـان هذا الفـتى الرحب

فـــذاك الذى حـــاز المعـــالى بأســـرها

بجـــــــد ولم يـك ممن يـعلـه النـشب

فـقـد هجـر البـحـرين مـسـقط رأسـه

وآثر بـيت الله فـــهـــو لـه حـــسب

فـصـار له البـاع الطويل بأكـثـر الفنون

وفـى طـــول المـدى لـــم تـزل تـــربـو

فـيـــومًـا فـقـــيـهًـا قـــد تراه وآخـرًا

يعـانى حـسـاب النجم والشـمس منكب

وطورًا تراه فى الـصـحـارى مـهـندسًـا

فـيـجـرى عـيـونًا فى عـــيـون لتنصب

وأخـرى ترى فى الشـعـــر تطرد خـيله

فـتكـبـو جـيـاد الـعـالمين ومـا تـكبـو

وأمـــا ســـجـــاياه فـــأكـــرم بمـثلهـــا

وليـس له مـــــــثـل إذا عظـم الخطـب

فـــــقـل له شـــــبـــــه وقل مـاثل

وهل أعظم الأعـــمـــال إلا له تصـبـــو

وقد ساح إلى أفريقيا وآسيا الكبرى وجزائر هولانده. ففى سنة (١٣٠١) وصل البصرة والبحرين.

(١٣٠٥) وصل جزائر جاوى (سنقفوره إلى فلفلان وسر بايا وما والاهم.

(١٣١٣) "مسقط والبصرة والبحرين".

(١٣١٥) "عدن ثم إلى زنجبار (ودار السلام) ولامو بأفريقيا".

(١٣١٧) "البصرة والكويت والبحرين".

(١٣٢٠) "وصل البصرة والبحرين".

* * *

المؤلف الشيخ محمد بن العلامة الشيخ خليفة النبهانى

بزى أسلافه. أخذ رسمه (١٣٤٠) بالبحرين

محاصرة الدمام أو شد الدمام

الشد فى اصطلاحهم هو المحاصرة البحرية فقط. ولما انكسر آل عبد الله وفروا إلى مقرهم فى (الدمام) جهز الشيخ على بن خليفة سفنًا كثيرة شحنها بالرجال وسار يقودها نحو الدمام وحاصرها وشدد الحصار عليها ولم يقصد من ذلك إلا كسر شوكة آل عبد الله وإضعاف قوتهم المعنوية بتعطيل مصالحهم.

فجعل آل عبد الله يحشدون جنودهم لحماية البلدة وأمرهم بالمرابطة على ساحل البحر خوفًا من غارة فجائية تحدث من خصمهم المرابط فى البحر أمامهم. ولبث الشيخ على محاصرًا لهم نجد أحد عشر شهرًا. يراقب بالناظور حركاتهم. فأبصر ذات يوم بالناظور إبل آل عبد الله يخرج بها الرعاة كل يوم قبيل الظهر ليوردوها من ماء فى جنوب البلدة. فأرسل إلى أخيه يطلب منه قومًا من الفرسان فأرسل له مطلوبه فلما وصل الفرسان تحت قيادة الشيخ صقر بن محمد بن على بن خليفة أمرهم بأن يذهبوا بخيلهم فى السفن إلى جنوب البلدة. ويكمنوا هناك إلى ورود الإبل الماء فيغيروا عليها ويستاقوها إلى البحرين ففعلوا فلما جاءت الإبل للورود حسب العادة أغار عليها الفرسان من مكامنهم واقتطعوا منها نحو أربعين ناقة عمانية. وفر رعاتها يستصرخون آل عبد الله من داخل البلدة فخرجوا فى طلبها. وكان الشيخ على يراقبهم بناظوره وهو فى البحر. فلما رآهم خرجوا فى طلب الإبل خشى من أن يدركوها قبل تكامل نقلها إلى السفن فعند ذلك أقلع من مكانه وتقدم بسفنه الحربية نحو البلدة وأطلق عليها البنادق مظهرًا عزمه على احتلالها فأرسل أهل البلدة الخبر لآل عبد الله فتركوا طلب الإبل ورجعوا

مجدين بجـيشهم إلى محـافظة البلدة وصد هجوم الشيخ على فـتبادل إطلاق البنادق بين الطرفين برهة من الزمان إلى أن أبعدت السفن عن الساحل بالإبل المنهوبة.

فكف الشيخ على بن خليـفة عن القتال وتم له مـا أراد من المغنم وقفل راجعًا إلى البـحرين وذلك سنة (١٢٧١) وتسمى هذه المحاصرة البـحرية (شد الدمام).

فرع

وفى سنة (١٢٧٥) أرسلت الدولة العليـة العثمـانية وفدًا إلى البـحرين تحت رياسـة المير الآى من عـرضى بغـداد (محـمـد بيك الديار بكرى) ومن البصرة (عبد القادر أفندى باشكاتب ولاية البصرة). فاتجها مع حاكم البحرين (الشيخ محمـد بن خليفة) وطلبوا منه رفع العلم العثمـانى على جميع مملكته فلبى طلبهما وأوعدهمـا برفعه بعد إفهام العشاير المقـصود من ذلك ثم رفعها بالفعل وذلك فى زمن ولاية مدحت باشا على بغداد (كما أشرنا إلى ذلك فى المقدمة) عند مباحث خليج البصرة.

* * *

فصل فى الصلح الحاصل بين الحاكم الشيخ محمد وأولاد عم أبيه

ولما كانت سنة (١٢٨٠) شعـر بل تيقن آل عبد الله بعجزهم وضـعفهم عن مقاومة الحاكم الشيخ محمد بن خليفة ومحاربته فوسطوا أمير نجد (فيصل ابن تركى) فى الصلح بينهم وبين حاكم البحرين نتذاكر فى الصلح مع الحاكم فسـر بذلك وعفى عنهم وسمح لهم بـالعودة إلى البحـرين ولما جاؤوها أنعم عليهم وأكرمهم غـاية الإكرام لتزول الضغائن والأحقـاد وهم أظهروا له المحبة والخضوع مـع الاحترام. فتـباشر الناس بالسلم وحقن الدمـاء. وأرخوا ذلك بلفظ (فرغ) إشارة إلى فـراغ النزاع وانصرام حبله. إلا أنه لم تتحـقق أمنيتهم كما قيل:

ويمكن وصل الحبل بعد انقطاعه

ولكنه تبـقى به عقـــدة الربـط

وقعة الوكرة

وفى سنة (١٢٨١) توجـه الحاكم الشـيخ مـحمـد بن خليفـة إلى مكة المشرفة لأداء فـريضة الحج. ولما عاد إلى وطنه وجد أن أهل قطـر عصوا على عامله الشيخ أحمـد بن محمد بن أحمد بن سلمان آل خليـفة فأرسل الحاكم عامله المذكور يأمـره بالقبض على رئيس قبيلة النعـيم (على بن ثامر) ويرسله إلى البحرين.

ففـعل العامـل ما أمره به فـلما جيء برئيس النعـيم إلى البحـرين سنة (١٢٨٢) زج فى السجن فغـضب لذلك قومه وتجاهروا بمناوأة حـاكمهم وفى سنة (١٢٨٣) استنجد بالشيخ قاسم بن ثانى (الذى صار أخيرًا حاكم قطر كما

بيناه فى تاريخ قطر) فـأمدهم بجـيش من الرجـال قاده بنفـسه للقـبض على العامل (الشيخ أحمد المذكور) وإخراجه من بلدهم. وكان الشيخ أحمد إذ ذاك (بالوكرة) وهى قصبة قطر. فـلجأ إلى قلعتها فشددوا عليه الحصـار فيها حتى كادوا أن يحتلوا القـلعة. ولم تكن لديه قوة كاملة للدفـاع فاضطر إلى الفرار فتمكن ذات ليلة من الفرار على حين غفلة من أعدائه فتدلى من خلف القلعة على ساحل البحر مع بعض خواصه وذلك بمساعدة راشد بن مبارك بن خاطر آل أبى عينين. فـتوجه إلى (الخـوبر) وهو موضع فى الطرف الشـمالى من بر قطر. ومن هناك أرسل يخـبر الحـاكم بما جـرى. وكان فى أثناء تدليـهم من القلعة غرق فى البحر الشيخ عبد المحسن بن عبد العزيز بن على بن محمد بن خليفة. وتسمى هذه الحادثة (وقعة الوكرة).

ولما خاب أهل قطر ولم يظفـروا بقبض الشيخ أحـمد بن محـمد أرسل زعيمهم الشيخ قاسم بن ثانى إلى حاكم البحرين الشيخ محمد بن خليفة كتابًا أغلظ فيـه بالكلام وخيره بين أن يعـزل عنهم عامله الشيخ أحـمد بن محـمد المذكور ويطلق سراح على بن ثامر رئيس قبيلة النعيم. ويعطيهم شبه استقلال إدارى.

وإلا فإنهم يخلعون طاعـته بتاتًا ويلتجئون إلى حكم غـيره (يشير بذلك إلى الانضمـام إلى أمير نجد آل سـعود) فغضب الشـيخ محمد بن خليـفة من غلاظة خطابهم وتهورهم فـى الكلام. ولم يجبهم إلا بالتجريد عليـهم فساق نحوهم جـيشًا عظيـمًا تحت قيـادة أخيه الشـيخ على بن خليفـة. فلما وصل المذكور بالقوة التى معه نزل فى مـوضع من بر قطر يقال له (أبا عمران) ومنه سار بجمـوعه مجدين فى السيـر رجالة وركبانًا نحو (الـدوحة) فلما وصلوها

وهى بلدة الثائرين وضعوا فيهم السيوف على حين غفلة منهم حتى أخذلوهم وألحقوهم للفرار بأنفسهم تاركين بيوتهم وأموالهم وتفرقوا شذرًا وخرجت تلك البلدة. وكانت هى قصبة قطر. فلذا سميت هذه الحادثة (خراب الدوحة الثانى) وذلك سنة (١٢٨٣).

وأما خراب الدوحة الأول فهو بقتل عيسى بن طريف وقد تقدم الكلام عليه فى محله.

وقعة الحمرور

ولما رأت قبيلة النعيم وبال أمرها وذاقت عاقبة نكرها استوحشت من الإقامة فى منازلها خشية أن يصيبها بطش الحاكم الشيخ محمد مثل ما أصاب غيرها فرحلت عن قطر. فبلغ الشيخ أحمد بن محمد المذكور خبر ظعنهم فتبعهم فى أثرهم بجيش مؤلف من (العجمان) ورئيسهم منصور بن محمد الطويل. ومن (المناصير) وعليهم مانع ومحمد بن سالمين. ومن لفيف من بنى هاجر فأدركهم فى موضع يسمى (الحمرور) وحصلت بينهما معركة عظيمة أسفرت بقتل الشيخ أحمد بن محمد المذكور وقتل الشيخ خليفة بن عبد الرحمن الأجيرب) من آل خليفة. ثم تفرق الجمعان متناصفين. وسميت هذه الحادثة (وقعة الحمرور) وذلك سنة (١٢٨٣) أيضًا.

وقعة دامسة

ثم إن أهل قطر البالغين فيها بعد الكسرتين راسلوا (فيصل بن تركى أمير الرياض) يستنجدونه ضد الخليفيين ويطلبون المساعدة. فبلغ الخبر لحاكم البحرين الشيخ محمد بن خليفة فشرع يحشد الجيوش ولم يظهر لأحد قصده من ذلك التجمع ولكن فهم (الشيخ قاسم بن ثانى) بقرائن الأحوال أنه هو

وقومه المقصودين بتلك الجموع وخشى من عـاقبة الأمور: فبادر بالتوجه نحو البحرين ليلتمس من حاكمها الـعفو والصفح عما جرى منه (من الأغلاظ فى مخاطبة الحـاكم بالكتب التى أرسلها إلى البحرين كما تقـدم عند وقعة خراب الدوحة):

فلما وصل الشيخ قاسم البحرين أمـر الحاكم عليه بالسجن فزج فيه ولم يتـمكن من مواجـهة الحاكـم ليبدى عـذره. فهـاج أهل قطر لذلك ومـاجوا وأجمـعوا على مهاجـمة البحـرين لإطلاق سراح أميرهم. وكـان زعيم هذه الثورة ناصر بن جـبر رئيس قبيلة النعيم فركـبوا سفنهم وأقلعوا بها مـتوجهين نحو البحرين. وهم يرتجزون بهذا لنبط:

حـــرم علـيك الصلـح منا مـا دام قـاسـم فى الحـديد
لا بد مـــا تارد ســـفـنا بالسـيف مصـقول الحـديد

يعنون بالخطاب حاكم البحرين: فلما أقـبلوا على البلدة وجدوا جيوشه مستعدة فى السفن ومتأهبة للقتـال: فتلاق الجمعان عند محل فى البحر يسمى (دامسه) وكان ذلك (فى ٧ ص عام ١٢٨٤) وتشابكت الـسفن بعضها ببعض بكلاليب الحـديد. وتراكمت على ظهـر السفن الـصفـوف. واشتد الـضرب بالسيوف وتساقطت فى البحر جثث الرجـال. حتى احمر وجه البحر من دماء الأبطال فانكسر أهل قطر كـسرة شنيعة. وكانت هذه الحادثة هى آخـر معركة فى جزيرة البحرين: وبسببها تداخلت الأجانب كما سيتضح لك:

ولما رجع أهل قطر إلى مـقرهم بعـد انكسارهم حـشد الشـيخ محـمد جمـوعه فى السـفن وسار بأسطولـه الشراعى نحـوهم وحاصرهـم مدة: ثم اقتضى رأيه بإنزال الجنود إلى بر قطر لـيطاردوا أهل قطر فى أرضهم: فاضطر

أهل قطر التقـهقر فزحف الخـليفيون نحـوهم فانفصلت من أهل قطر فـصيلة وتوجهت نحو الساحل لتقطع على الخليفيـين (خط الرجعة) فأدرك الخليفيون المكيدة فـانسحبوا مـسرعين نحـو سفنهم فطاردهم عدهم حـتى منهم (الشيخ إبراهيم بن على) أسيراً وكـان أخوه الشيخ عيسى بن على صغـير السن يومئذٍ فلما أثقله السلاح وطول السـير ركب على ظهر عبد له وانتخاه: فـجاد العبد حتى نجا بسـيده وأوصله السفن سالمين وبقى الشيـخ إبراهيم مأسوراً عند أهل قطر فى نظير (زعيمهم الشيخ قاسم بن ثانى) فتبادلا بهما:

* * *

فصل فى الخلاف الواقع بين حاكم البحرين والإنكليز وبينه وبين أخيه الشيخ على

كان قد عقد اتفاق بين الحاكم الشيخ محمد وبين معتمد بريطانية الذى كان مقره فى أبى شهر: ومن جملة مواده أن يتنازل الحاكم الشيخ محمد عن حقه فى تجهيز الجيوش البحرية وأن لا يتخذ سفنًا حربية وفى مقابلة ذلك الاتفاق يتعهد المعتمد البريطانى بالنيابة عن حكومته فى رد كل غارة بحرية تحدث على البحرين.

فلما حدث هجوم جيش القطريين على البحرين فجائيًا: ولم يكن وقعت لإشعار المعتمد البريطانى وهو فى أبى شهر خشى الحاكم الشيخ محمد على مملكته من الأعداء. إذا لبث يخابر المعتمد وينتظر النجدة منه فبادر الشيخ محمد بالذب عن ملكه وبرز بأسطوله الشراعى وأوقع بالأعداء (وقعة دامسه) المتقدم ذكرها.

فاتخذ المعتمد ذلك الدفاع ذريعة إلى التداخل بشؤون البحرين وجاءها على بارجته لمعاتبة حاكمها على مخالفته نصوص الاتفاق. ولما بلغ الشيخ محمد خبر توجه المعتمد نحو البحرين رأى أولوية الميل إلى اللين والمسالمة. فتوجه إلى قطر لبعض الشؤون بعد أن فوض أخاه الشيخ على بمصالحة المعتمد البريطانى على ما يريد من المال. وإن كان المعتمد غير محق فى دعواه لأن الحاكم الشيخ محمد كان مضطرًا لصد غارة أهل قطر ولو تريث قليلا لفقد ملكه وخاطر بنفسه وأهله. وعد المعتمد ذهاب الشيخ محمد إلى قطر اعترافًا بالنكث.

فأمر بارجته بإطلاق المدافع على (قلعة أبى ماهر) فهدمتها وحطمت العلمين العثمانى والإيرانى اللذين كان قد وضعهما الحاكم عليها. ثم أمر

بحرق أسطول البحرين الشراعى فحرق منه ثلاث سفن كبار حربية كانت خصيصًا للحاكم. وطلب من الشيخ على بن خليفة بأن يتقلد حكم البحرين بدلا من أخيه الذى سقط حكمه بمخالفة العهد على زعمه.

وبعد جدال شديد وإلحاح عنيف رضى الشيخ على بأن يتولى حكم البحرين عوض أخيه. فأدى ذلك إلى الخلاف الشديد بين ألأخوين وفى سنة (١٢٨٥) أضطر الشيخ محمد الحاكم سابقًا إلى مبارحة البحرين فتوجه إلى الكويت. ولسان الحال يقول:

إذا لم يسلك الزمان فحارب وباعد إذا لم ينتفع بالأقارب

فتوطد للشيخ على بن خليفة الملك على البحرين. وبذلك نال الأجانب بغيتهم من وقوع الشقاق بين الأخوين الأمر الذى لو دام بين العائلة لأدى إلى الضعف والانحطاط (لا سمح الله) ولكن لولا حكمة سمو الحاكم الحالى صاحب العظمة الشيخ عيسى بن الشيخ على بن خليفة وحزمه وسعيه فى تأليف القلوب لبلغ ذلك إلى ما هو أعظم وأخطر منه. وإلى ذلك أشار سمو الشيخ إبراهيم بن الشيخ محمد بن خليفة فى العينية التى رثى بها والده المرحوم:

وما زالت العلياء تسمو وفعلك فى علا العليا الذراع
إلى أن تم أمرك فى قضاء لركن المجد صار به انصداع
فنازعك الشقيق وكان قدما حسامك والأمور لها انتزاع
وأغرى الدهر بينكما وهاجت على الإفساد بينكما الرعاع
وأجرى الله أمرًا قد قضاه وكل قد أضر به النزاع

الفصل الخامس
فى حكم الشيخ على
وهو الحاكم الخامس

ولما استتب الحكم للشيخ على بن خليفة بن سلمان على البحرين سنة (١٢٨٥) وأرخت بلفظ (غرفه) فكر آل صباح حكام الكويت بعاقبة النزاع بين الشقيقين فسعوا فى الصلح بينهما فأرسل حاكمها الشيخ عبد الله بن صباح كتابًا صحبة أخيه الشيخ محمد إلى الشيخ على بن خليفة ينصحه ويحذره من الانشقاق وتفرق الكلمة ويلتمس منه إرجاع الأمر إلى ما كان عليه. وبعد مذاكرة طويلة رضى على بإرجاع الحكم إلى أخيه الحاكم السابق. فرجع الشيخ محمد آل صباح فبشر أخاه الشيخ عبد الله بما تم من الصلح.

فاستسر بذلك. وعرضا على الشيخ محمد بن خليفة بأن يسير إلى مقر حكمه وصحباه بسفنهم إلى البحرين. ولما قاربوها تقدمهم الشيخ عبد الله آل صباح بسفينته ليخبر الشيخ عليا بقدوم أخيه الحاكم ليأمر بتنظيم حفلة الاستقبال. فوجد الشيخ عليًا قد رجع عن فكرة الأول وأصر على عدم التنازل عن الحكم لأخيه وكان ذلك بسعى الأجانب الذين يودون دوام الانشقاق بين الأخوة ليستفيدوا من ذلك.

لا يحكم الصياد أشباكه إلا إذا عكر بطن الغدير

فرجع الشيخ عبد الله آل صباح فى سفينته وخرج إلى عرض البحر حيث اجتمع بأخيه وبالشيخ محمد بن خليفة وأخبرهما بنقض الصلح (ليقضى الله أمرًا كان مفعولا) وطلبا منه أن يعود معهما إلى الكويت فأبى وشكرهما على حسن صنيعهما. واعتذر لهما مما نالهما من التعب والفشل بدون نتيجة. وطلب منهما أن ينزلاه فى (دارين) لأخذ الأهبة فى مهاجمة البحرين فأنزلاه فيها وعاد إلى مقرهما.

وقعة الضلع

ثم جهز الشيخ محمد بن خليفة من (دارين) جيشًا من بنى هاجر. وأتاه أيضًا الشيخ ناصر بن مبارك آل عبد الله وعقد معه اتفاقًا ومعاهدة وأ، يساعده بنفسه وبأمواله وسار بالفعل معه فى ضمن أتباعه. وتوجه الكل نحو البحرين ولما نزلوا من سفنهم إلى البر خرج لهم الشيخ على بن خليفة بجيش عظيم ومعه بقية آل عبد الله بخيلهم ورجلهم وعليهم الشيخ محمد بن عبد الله. إلا أن الشيخ عليًا ارتاب منهم لما بلغه اتفاق أخيهم مع أخيه الشيخ محمد. فطلب منهم تجديد المعاهدة فعاهدوه مرة ثانية. ثم أنه عند ابتداء المهاجمة أرسل الشيخ على ابنه الشيخ إبراهيم إلى آل عبد الله فى محل مخيمهم (معسكر) يأمرهم بمهاجمة جيش الأعداء فأظهروا له الامتثال ولكن عند انعكافه راجعًا إلى معسكر أبيه كر عليه الشيخ محمد بن مبارك آل عبد الله ورجل من بنى هاجر فطعنه برمح أرداه قتيلا عن ظهر فرسه. وتظاهر آل عبد الله إذ ذاك بعداوة الشيخ على ومحاربته عند زحفه على صفوف أعدائه.

ثم التفت جيوش الشيخ محمد والشيخ على وآل عبد الله وتقاتلوا قتالا عنيفًا. فالتحمت الصفوف. واختلطت الرماح بالسيوف. ولعبت الأسنة بالتروس. ووطئت الخيل بسنابكها الرءوس. فأسفرت تلك المعركة عن قتل الشيخ على بن خليفة وتفرق جيوشه وفرار أتباعه إلى بر قطر. فعاد حكم البحرين للشيخ محمد بن خليفة.

وكان قد عوقب آل عبد الله على نكثهم العهود بأن قتل ابن أخيهم الوحيد محمد المشهور بالحباب خطأ قبيل المعركة ولا يعرف له قاتل وممن قتل فى هذه المعركة من المشهورين الشيخ خليفة بن على بن خليفة بن مقرن آل

خليفة. والشيخ سلطان بن عبـد الرازق بن إبراهيم آل خليفة والشيخ راشد بن عبد الرحمن بن راشد آل فاضل. وكـانت هذه الحادثة فى (٢١ جمادى الثانية عـام ١٢٨٦) وأرخوها بقـولهم (ومن لأوال خربـت) وكان للشـيخ على بن خليفة (١٢) ابنًا وهم عبد الله وإبراهيم وسـمو الحاكم الحالى صاحب العظمة الشيخ عيسى وأحمد والشيخ: خالـد وجبر: وصقر وحسن ومنصور: وناصر وعبد الله الثانى: وداود وراشد ويوسف:

* * *

الفصل السادس
فى عود الشيخ
محمد بن خليفة إلى
الحكم وغدر
آل عبد الله به

كان من أقصى آمـال عبد الله أن يبلغ الحال بآل سلمـان إلى ما بلغ إليه من الانشقاق والخلاف: وحينما عاد الشيخ مـحمد بن خليفة للحكم بعد قتل أخيه رأوا الـفرصة مناسبـة فادعوا أنهم هم السبب فى انتـصار الشيخ مـحمد وببـأسـهم عاد له ملـكه ثم تجاوزوا ذلـك إلى الادعاء بأنهـم أحق بالملك منه وجعلوا ينتظرون الغـرر ويتحينون الفـرص إلى أن تمكنوا ذات يوم منم القبض على الحاكم الشيخ محمد بن خليفة فسجنوه فى (قلعة أبى ماهر).

وتولى أخوهم الكبير (الشيخ محـمد بن عبد الله) حكم البلدة وتناسوا العهود والمواثيق التى أبرموها مع الحاكم للذكور: وإلى ذلك أشار سمو الشيخ إبراهيم بن محمد فى العينية بقوله:

وصـار الأمـر بعـد كـمـا لقـوم له جـبلوا ولكـن لم يطاعـوا

وهم نكثـوا العهـود وهم ضاعـوا حـقـور لله فـانتكثـوا وضـاعـوا

فعند ذلك توجه الشيخ عيـسى بن الشيخ على إلى قطر ونزل على قبيلة النعيم وتبعه سائر أخوته وبنى عمه الشيخ محمد بن خليفة ما عدا أخيه أحمد بن الشيخ على فإنه توجه إلى نجد فقام ضيـفًا لدى (الأمير عبد الله بن فيصل آل سعود) إلى أن ارتقى أخوه الشيخ عيسى عرش مملكة البحرين وسوى جابر بن الشيخ محمد الذى كان قد توجه إلى نجد أيضًا بأمر من والده لما كان مقيمًا فى الكويت ولما قفل راجـعًا من نجد ووصل الإحـساء بلغه خبـر رجوع والده على حكم البحرين ثم غـدر به آل عبد الله وقبضـوا عليه: فعند ذلك عكف راجعًا من الإحـساء إلى قطر حيث نزل على ابن عمه الشـيخ عيسى بن على وبقى الجميع هناك إلى أن تولى سمو الشيخ عيسى حكم البحرين فرجعوا معه إليها كما سيأتى.

الفصل السابع
فى إمارة الشيخ
محمد بن عبد الله
وهو الحاكم السادس

لما قبض الشيخ محمد بن عبد الله بن أحمد آل خليفة على زمام الحكم سنة (١٢٨٦) أرسل إلى قبائل قطر يحثها على مناواة الشيخ عيسى بن على ومن اجتمع معه من إخوانه وبنى عمه فبقى آل سلمان (أى الشيخ عيسى وربعه) فى أسوأ حال تارة يهددهم الشيخ قاسم بن ثانى وطورًا يتوعدهم جبر مهنا المسلمى يفعلان ذلك تقربًا إلى الحاكم الشيخ محمد بن عبد الله ورغبة فى الحصول على رضائه فلبث آل سلمان على هذه الحالة يعللون أنفسهم بالفرج ويتغلبون على الأهوال بالرضى فكأنهم المعنيون بقول الشاعر:

صبرًا على أهوالها ولا ضجر ... فربما فاز الفتى إذا صبر

لكل شىء مدة وتنقضى ... ما غلب الأيام إلا من رضى

***

فصل فى كيفية عزل الشيخين محمد ومحمد وتسفيرهما

ومن غريب ذكاء الشيخ محمد بن خليفة وصدق فراسته: هو أنه قال لآل عبد الله لما قبضوا عليه وأرادوا قتله (لن تطول مدة حكمكم أكثر من ثلاثة أشهر فلا تستعجلوا على فى القتل فكان الأمر كما ذكرنا إذ قبل انقضاء ثلاثة أشهر أتى معتمد الإنكليز المقيم فى أبى شهر واسمه (بيلى) على بارجة إلى البحرين واتجه بالشيخ محمد بن عبد الله وساله عن الحاكم السابق الشيخ محمد بن خليفة فأجابه بأنه قتل فى المعركة ففحص المعتمد عن ذلك فأخبر بأنه محبوس فى (قلعة أبى ماهر) فذهب إليها بالبارة وأحاطها بالعساكر وأخرج الشيخ محمد بن خليفة من السجن وأركبه معه فى البارحة.

ثم إن المعتمد أمر بإخراج جيش آل عبد الله وهم بنو هاجر من البحرين وأطلق عدة مدافع على دار الحكم فى (المنامة) فخرج بنو هاجر فارين ومعهم أميرهم الشيخ ناصر بن مبارك آل عبد الله ودام إطلاق المدافع عليهم حتى أبعدوا عن البلدة.

ثم استشار رؤساء قبائلها وأعيان أهلها فيمن يختارونه حاكمًا عليهم فأجمع الكل على طلب الشيخ عيسى بن على فكتب المعتمد البريطانى إليه يستقدمه. ولما وصله الكتاب وفشى الخبر فى قطر جعل أهل قطر يعرضون على الشيخ عيسى سفنهم ومساعدتهم بعد أن كانوا يهددونه بالخروج من بلدانهم.

الناس إخوان من دامت له نعم والويل للمرء إن زلت به القدم

فشكرهم وأبان لهم عدم حاجته إلى مساعدتهم. وركب هو وعشيرته السفن من مرساها. وقالوا بسم الله مجريها ومرساها وأتى البحرين بمن معه

من عشيـرته وصحبته (قـبيلة النعيم) وأتباعـهم فنزل المحرق. فقابله المعـتمد وعرض عليه رغبة أهل البحرين فى توليته عليهم واتفق سموه مع المعتمد على بعض الشروط. ورقى عـرش المملكة بالتهليل والهـتاف من الجمـهور: وسنه يومئذٍ (٢١) سنة:

وكان لما أقبل من قطر سـمو الشيخ عيسى بموكبه علـى البحرين ضاقت الدنيا بما رحـبت على الحاكم الشـيخ محـمد بن عبـد الله ولجأ إلى البـارجة الإنكليزية فـرفض قبوله. ثم أفهـمه بأنه بقى فى البحرين يقـتل من حيث لا يعلم فعند ذلك قبله المعتـمد وأركبه البارجة هو وحفيـد أخيه الشيخ على بن ناصر بـن مبارك آل عـبد الله وأقلعت الـبارجة المذكـورة بالمذكورين (الـشيخ محمد والشيخ محمد والشيخ على) فأنزلتهم فى (فلفلان) حيث اعتقلوا هناك مدة وأرخ هذه الحادثة أهل مسقط بقولهم (على غيب ومحمد سيب)[1].

ومات فى المعتقل الشيخ محمـد بن عبد الله وبعد وفاته بنحو سنة نقل الباقـون إلى (بمبى) وذلك سنة (١٢٩٤) وخيروهما فى الموضع الذى يـرغبان الإقامة فيه فاختاروا (عدنًا) فنقلا إليها.

وفى سنة (١٢٩٧) سـمح الإنكليز للشـيخ على بن ناصر بالتـوجه إلى (الإحساء) وبقى بها إلى أن توفى وعقبه فيها إلى اليوم.

وأما الشيخ مـحمد بن خليفة فبـقى فى عدنان إلى سنة (١٣٠٤) حيث ورد إلى أبنائه بالبحرين كتـاب من (راشد بن سلطان آل زايد) وهو من وجهاء أهل البحـرين وكان إذ ذاك فى (دار الخلافـة الإسلاميـة) ينبأهم فـيه بتشـفيع

(١) غاب فى اصطلاح أهل مسقط بمعنى مات. أى مات على وسببى أخوه محمد. أى نفى. ا هـ مؤلف.

السلطان عبد الحميد الثانى فى أبيهم وأنه سينقل إلى مكة المشرفة وطلب منهم أن يتوجه أحدهم إلى عدن لمساعدة أبيهم على السفر إلى مكة المشرفة. فتوجه نجله سمو الشيخ إبراهيم بن محمد إلى البصرة ومنها إلى عدن فلم يجد عند حكومتها خبرًا عما جاءه من الخبر فتوجه إلى جدة فمكة فالطائف حيث قابل فيه الشريف عون الرفيق بن محمد بن عون ووالى مكة (صفوت باشا) فشرح لهما المسألة.

فأبرقا إلى دار الخلافة يسترحمان تأكيد الخبر فصدر الأمر السلطانى إلى عدن بإطلاق سراح الشيخ محمد بن خليفة فتوجه سمو نجله بعد أداء فريضة الحج إلى عدن. وقفل راجعًا فى خدمة أبيه إلى مكة المشرفة فوصلاها سنة (١٣٠٥) فأحسنت الحكومة العثمانية مقابلته وعينت له راتبًا شهريًا. وبعد استقراره رجع نجله الشيخ إبراهيم إلى البحرين. وبقى الشيخ محمد فى مكة يفكر فى استرجاع البحرين ولكنه داهمه الأجل فتمرض ثم توفى فى (٨ ذى الحجة عام ١٣٠٧) وانتهت حياته فى أشرف البقاع وذلك مما يدل على سن نيته وقبوله عند الله رحمه الله رحمة الأبرار وأسكنه جنات تجرى من تحتها الأنهار. ولما رجع حجاج البحرين نعوه إلى أنجاله فرثاه ابنه سمو الشيخ إبراهيم بالقصيدة العينية التى أوردنا بعض أبياتها فيما تقدم.

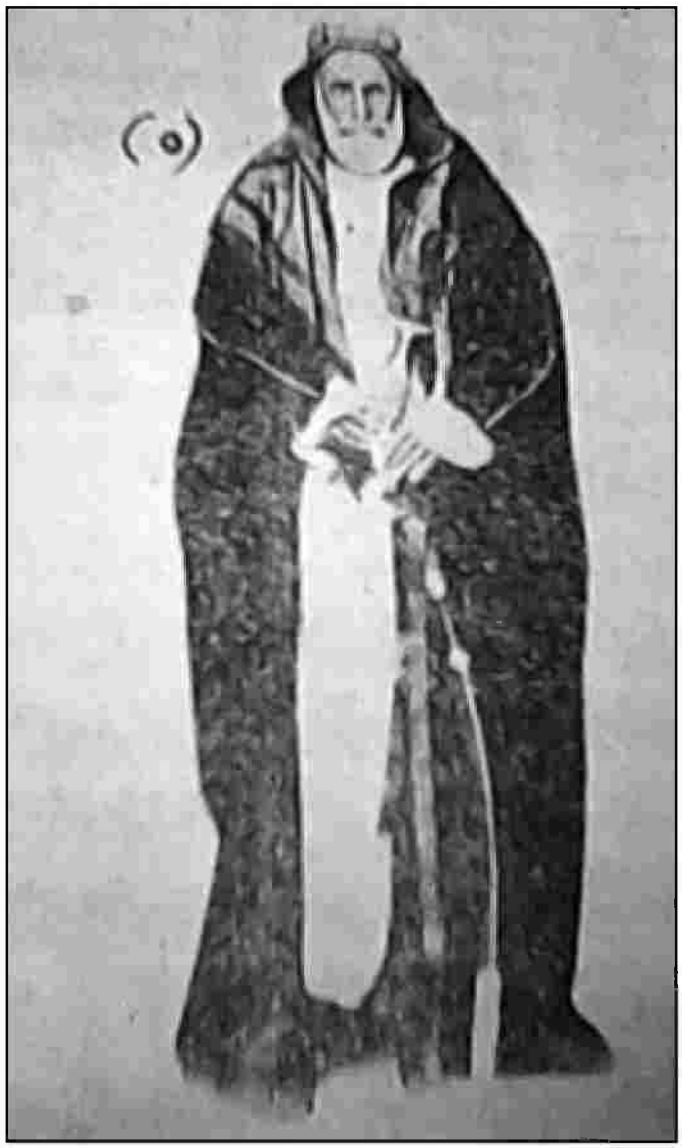

صاحب العظمة سمو الشيخ عيسى بن على الحاكم الحالى

الفصل الثامن
فى حكم
صاحب العظمة
سمو الشيخ عيسى

رقى سمو الشيخ عيسى بن على بن خليفة بن سلمان بن أحمد الفاتح بن محمد بن خليفة آل خليفة. عرش المملكة لليلة بقيت من شعبان سنة (١٢٨٦) وعمره يومئذٍ (٢١) سنة. واستلم زمام الملك بيد الحزم والتدبير. فدانت له القبائل والأعراب ونشر رايات العدل والأمان. وقمع بسيفه البغاة والعدوان. وأشاد بعلمه وحلمه وتقواه ركن الدين. وأظل بأغصان فضله الأرامل والمساكين فألقى السعد عصا تسياره بقصره. وخصه بين الأنام بنصره فلا غرو إذا اجتمعت على محبته القلوب وعقدت على طاعته الخناصر إذ لا يسبق له فى ميدان الفضائل جواد ولا ينبوا له فى معامع المضاء والعزيمة سهم ولا نصال وآيات جوده تناقلها الركبان ورايات عدله وحلمه منشورة بين القاصى والدان وناهيك أنه لما تولى أريكة الحكم أنهم على القبائل التى كانت معه فى قطر ببذل العاديات الأصائل حتى بلغ 'طاؤه فى جلسة واحدة أربعين قارحًا من جياد الخيل ومبلغًا جسيمًا من الأموال والسلاح والحلل ووصل بنى عمه بالبساتين الزواهر والطرف النفيسة من الأسلحة والجواهر حتى أنهم جمعوا على أنه أندى الملوك راحة. وأرحبهم ساحة.

له همة لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى أجل من الدهر

له راحة لو أن معشار جودها على البركان البر أندى من البحر

وكانت ولادته أمد الله فى سنى حياته فى غرة عام (١٢٦٥) فسماه والده المعظم باسم صهره المرحوم عيسى بن طريف آل بن على إحياءً لذكره وإعلانًا لأن ما صدر منه لا يصلح أن يكون سببًا لقطع صلة الرحم وأواصر القرابة. ولما جاوز سموه نصف العقد الأول من أعوام عمره الميمون ضم إليه

المربين والمؤدين وعلمـاء الدين. فـأخـذ عنهم مـا يجب لأولاد الملوك وإدارة الملك. ولما أميطت عنه التـمائم. وظهرت منه للنـجابة علائم. استـقدم أبوه الاختصاصيين بشئون الإدارة وعلوم السياسـية والاجتماع فحاز فى مدة قصيرة ما لم يحـزه أغلب كبرى الجـامعات. وكـان فى جمـيع أدواره آية فى الذكاء والفصاحة. وتوقد الذهن والبلاغة. وقـد أشرب أنجاله الكرام سجاياه المجيدة فكان حجة دامغة على تأثير حسن المنبت وشرف المحتدى فى التربية والأخلاق وإنك لترى فى سمو أولاده صورة مصـغرة عن مزايا سمو والدهم المعظم وأن كل حفظه الله قد جـمع من حسن الخصال. ما تفرق فى العـالم فى مختلف الأجيال.

وكان له خمـسة أبناء. الشيخ سلمان. والشيخ حمـد. والشيخ راشد. والشيخ محمد والشيخ عبد الله. فالأول والـثالث أفل نجمهما فالشيخ سلمان توفى سنة (١٣١١) بعد عودته من أداء فريـضة الحج. والشيخ راشد توفى فى رمضان سنة (١٣٢٠).

***

ناصر بن أحمد حاجب الحاكم

ترجمة ولى العهد سمو الشيخ حمد

صاحب العظمة سمو الشيخ حمد

ولى العهد هو أكبر الأنجال الموجودين. سمو الشيخ حمد ابن ذى العظمة. سمو الشيخ عيسى أعزه الله. ذوا الهمم السامية والمزايا الراقية. من أجمع الناس على مضاء عزيمته. وصفاء سريرته وذكائه البارع. وحلمه الواسع. وجوده الشاسع. ولد أدام الله مجده سنة (١٢٩١) وأخواله من آل خليفة. فرباه سمو والده المعظم تربية ملوكية وجلب له ولإخوانه الأساتذة الفطاحل فتخرج عليهم وأعجبوا بحسن أدبه وقوة حافظته وغزارة فضله وسديد سياسته. وله فى الشجاعة والفروسية المقام الأسمى. وحاز من الكرم والجود النصيب إلا وفى فقلت:

تساما على الأقران بالفضل والقدر ... بهمته حاز المحاسن كالبدر

أمير له أوج المعارف مركب ... وآثاره عمت على البر والبحر

له الأرض طرا تحت قبضة سيفه ... وأفعاله تبنى عن السر والجهر

مليك له خلق كريم ومنطق ... يقر به أهل الدراية والفخر

(مؤلف)

سمو الشيخ سلمان ابن الشيخ حمد

وقد أنجب حفظه الله (١١) بنًا وهم. الشيخ سلمان ولد أطال الله بقاءه فى ١٥ ربيع ثانى عام ١٣١٢ ثم محمد ثم أحـمد. فهؤلاء الثلاثة جدهم من جهـة الأم الشيخ على بن محـمد آل خليفـة. وعلى. وراشد وعبـد الرحمن وهؤلاء الثلاثة جدهم عبد الله بن سلمان الجلاهمة. وإبراهيم وأحمد ومبارك وعبد الله وهؤلاء الأربعة جدهم الشيخ سلمـان بن دعيج آل خليفة. وخليفه وجده الشيخ راشد بن محمد آل خليفة.

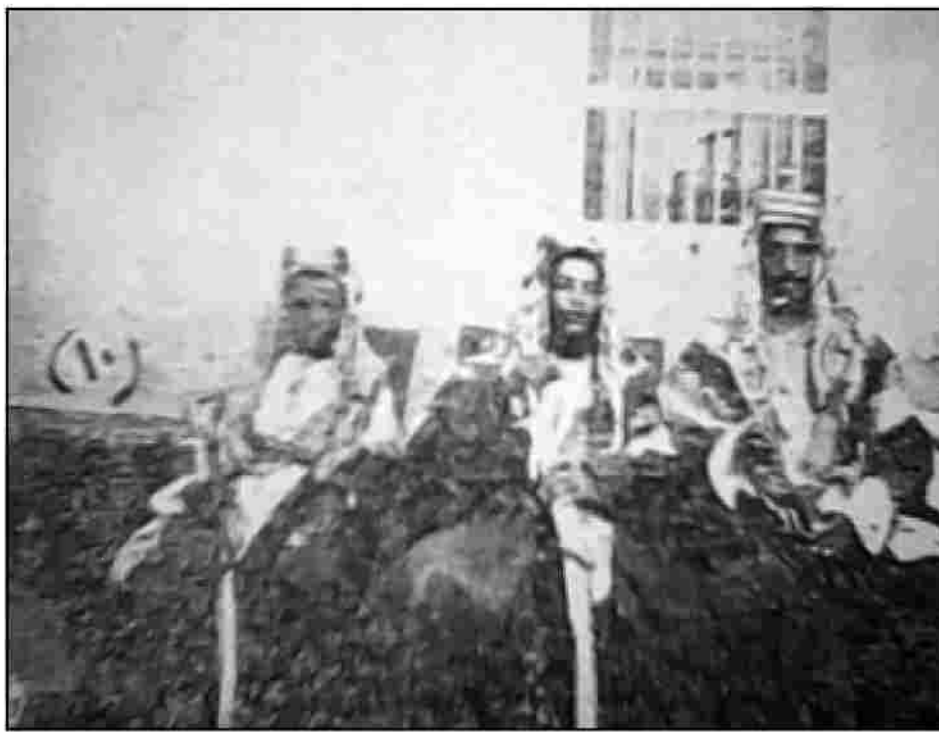

أبناء الشيخ حمد الثلاثة

دعيج ابن الشيخ حمد وعن يساره حاجب أبيه عبد الله بن جبر

حاجب الشيخ حمد (عبد الله بن جبر الدوسرى)

ترجمة سمو الشيخ محمد بن ذى العظمة الشيخ عيسى

سمو الشيخ محمد بن المعظم الشيخ عيسى بن على

الابن الثانى:

سمو الشيخ محمد بن ذى العظمة سمو الشيخ عيسى. فهو فى العلم والذكاء نادرة أوانه. وفى البلاغة والعرفان سحبان زمانه. أن نظم أزرى بعقود الجمان. أو نثر عبث بزهر الجنان وقد اشتهر بالشجاعة والسماحة. وعرف بالجود والحزامة. فهو رب السيف والقلم:

فقلت:

م من ذا يضاهيه فى مجد وفى كرم ... مليك عصر المعالى نخبة الأمم

ح حاز المحامد بالسيف الصقيل كما ... حواه آباءه الإنجاب فى القدم

م من الخليفة من عدنان نسبته ... محمود فعل وآثار على علم

د دعته كل المعالى فاستجاب لها ... دعاء عز وإقبال مع النعم

ولد أدام المولى حياته سنة (١٢٩٦) وأخواله من آل بن على وقد أنجب (٦) أبناء وهم سمو الشيخ أحمد ولد أطال الله بقاه فى محرم سنة (١٣١٧) ثم الشيخ على ولد فى ٢٨ رجب سنة (١٣٢١) ثم الشيخ راشد ولد فى ١٤ ذى القعدة سنة (١٣٢١) ثم الشيخ خليفة ولد فى ٦ ربيع أول سنة (١٣٣٠) والشيخ إبراهيم ولد فى ذى الحجة سنة (١٣٣٥) والشيخ سلمان ولد فى ذى الحجة عام (١٣٣٨). وكلهم ولله الحمد أقمار بازغة سالكين سبل أسلافهم الكرام.

الشيخ أحمد ابن سمو الشيخ محمد

الشيخ على ابن سمو الشيخ محمد

الشيخ راشد ابن سمو الشيخ محمد

محمد بن صالح حاجب سمو الشيخ محمد

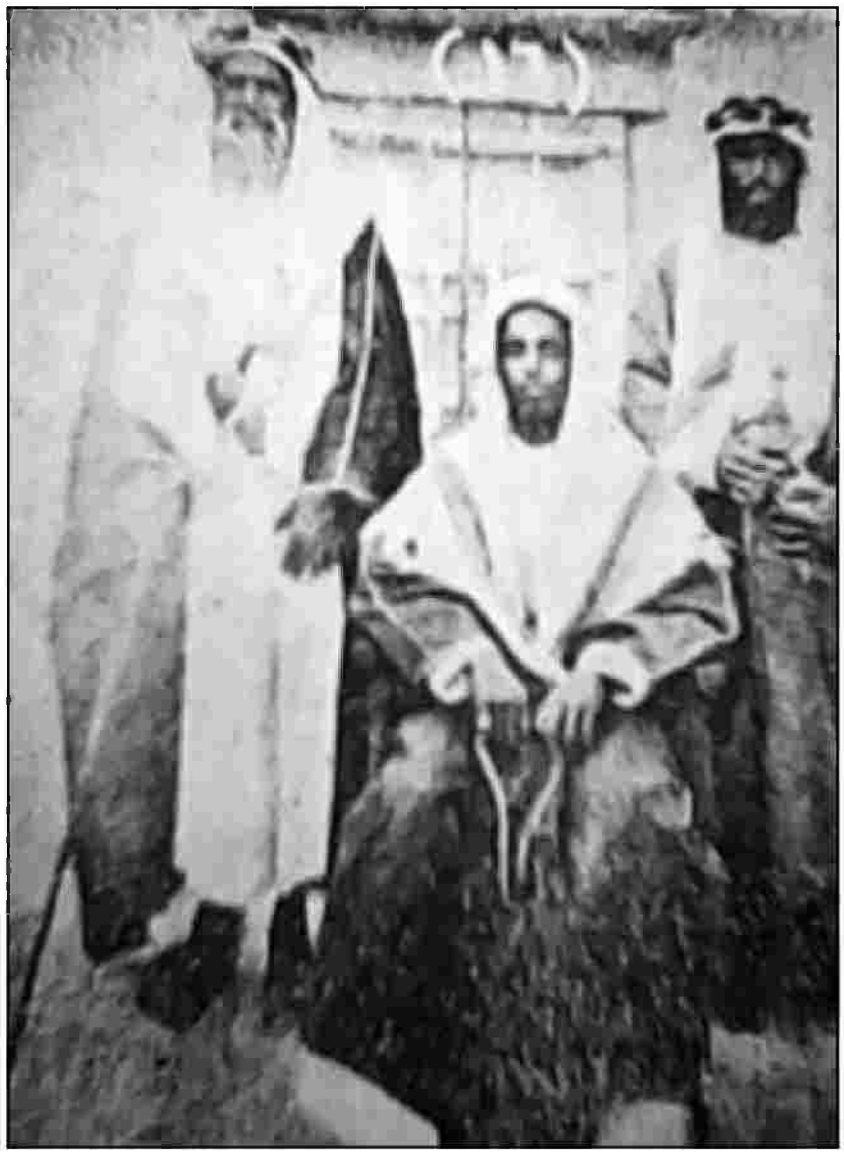

جاسم بن محمد النبهانى الحاجب الثانى لسمو الشيخ محمد والواقفان
بجانبيه من رؤساء قبائل (دبى)

ترجمة سمو الشيخ عبد الله ابن ذى العظمة الشيخ عيسى

سمو الشيخ عبد الله بن المعظم الشيخ عيسى وعن يساره نجله سمو الشيخ محمد

الابن الثالث:

سمو الشيخ عبد الله ابن ذى العظمة سمو الشيخ عيسى. فهو كعب فى سماحته. وحيدرة بشجاعته. والأحنف بحلمه. وقيس بن زهير فى أصالة رأيه وفهمه. متوقد الذهن شديد الذكاء. نابغة فى العلوم السياسية والأدب. وله شغف عظيم فى الفروسية والإقدام فقلت:

حاز المكارم والمفاخر سيد ... ذو همة تعلو إلى جو السما

منه السياسة قد رقت فى حسنها ... أوج المعارف فوق أشقر أدهما

دعنى أكرر منطقى فى وصفه ... ونظام لفظ فهو أكمل من سما

ولد أدام الله وجوده وجوده سنة (١٣٠١) وأخواله آل خليفة وقد تقدم (عند تاريخ ارتقاء البحرين) أنه هو ونجله الشيخ محمد أول من ركب الطيارة.

وقد أنجب أربعة أبناء. وهم الشيخ محمد ولد أطال الله عمره سنة (١٣١٩) ثم الشيخ راشد ولد سنة (١٣٢١) ثم الشيخ على ولد فى محرم سنة (١٣٣١) ثم الشيخ حمد سنة (١٣٣١) أيضا. وكلهم أقمار ساطعة. وشموس بازغة. عارجين سبل الرشاد كأسلافهم. النجباء الفخام.

ترجمة سمو الشيخ خليفة بن سلمان حفيد الحاكم

سمو الشيخ خليفة بن سلمان

حفيد الحاكم:

سمو الشيخ خليفة بن سلمان ابن ذى العظمة سمو الشيخ عيسى بن على. فهو ذو الأخلاق الحميدة والمزايا المجيدة فإنه منذ ميطت عنه التمائم شرع يقتفى أثر أعماله فى الكرم والسماحة ويحذوا حذوهم فى الحلم والشهامة. ولد أمد الله فى سنى حياته سنة (١٣٠٨) وأخواله آل خليفة. وقد أنجب بابنين الشيخ راشد. وولادته فى محرم عام (١٣٢٨) وأرخها يوسف ابن فلاح بقوله (أهلا براشد الاسم والفال). وأخوه الشيخ سلمان ولد فى رمضان سنة (١٣٢٩): وأما حاجبه فهو يوسف بن حسن بن فلاح ذو الآداب الحميدة.

وقد استوزر الحاكم

صدرا من حكمه عم أبيه الشيخ عبد الوهاب بن سلمان بن أحمد الفاتح الخليفى إلى أن توفى سنة (١٣٠٦) ثم استوزر من بعده ابنه الشيخ عبد الرحمن بن عبد الوهاب إلى سنة (١٣٣٤) حيث انسلخ منها لأمور مجهولة.

* * *

فصل
فى مساكن
أصحاب السمو
حكام البحرين

أول ما يستلفت النظر فى البحرين حسن ترتيب وضع قصور الحكام الفخام: إذ قد توسط قصر سمو الحاكم المعظم وأحاطت به قصور أنجاله الكرام. فكأنه القمر بين زواهر النجوم

(فمن الجنوب) قصر ابنه سمو الشيخ حمد وهو شرقى مسجد الجمعة القديم. وقد كتب على مصراعى الباب هذان البيتان وبهما تاريخ البناء:

عيسى بن على منار البيت أطَّدَهُ على المكارم والعليا له عمد
لشبله طالع الإقبال أرخه (هنيت بالبيت يا دَرَّ العلى حمد)
(١٣٠٩)

(ومن الغرب) قصر ابنه سمو الشيخ عبد الله. وقد جدده على الطراز الحديث سنة ( )

(ومن الشمال) قصر ابنه سمو الشيخ محمد. وبجانبه مجلسه العمومى. وأمامه المجلس الخصوصى. وقد خصصه لى مدة إقامتى فى البحرين تقصدنا فيه العلماء والفقهاء والمحبين للزيارة والطلب العلم: وفى جنوب هذا المجلس. مجلس ابنه الشيخ أحمد بن الشيخ محمد.

(ومن الشرق) قصر حفيد الحاكم سمو الشيخ خليفة بن سلمان وقد جدد بناءه على الطراز الجديد وجعله فى الطبقة الثانية سنة (١٣٣٩) وأرخه يوسف بن فلاح بقوله.

تجديد صارفى فى العشرين من صفر فى عام خير بهذا قلت مبتدر
مؤرخًا داعيًا للشهم صاحبه (عمرت فيه بلا نقص ولا كدر)
(١٣٣٩)

وباقى قصور العشيرة الخليفية الكريمة محيطة به من جهاته الأربع أحاطه الهالة بالقمر. والأكمام بالثمر. وكلها بديعة الزخرفة منتظمة الهندسة.

وفى داخل قصر سمو الشيخ حمد مجلسه العمومى وهو بديع المنظر والشكل بنى سنة (١٣٣١) لمقابلة الوفود. والضيوف. ويكاد أن يكون أفخر أبنيه البحرين الشهيرة.

وأشهر علماء البحرين: فى زمن حكم صاحب العظمة سمو الشيخ عيسى بن على. هم الشيخ محمد بن راشد الحسينى المالكى تولى القضاء إلى أن توفى. والشيخ عبد الرحمن بن جعفر المالكى تولى القضاء ثم عزل عنه: والشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل مبارك المالكى تولى القضاء ثم عزل عنه. والشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد المحسن الصحاف المالكى تولى القضاء إلى سنة (١٣١١) حيث ذهب إلى بمبى للتداوى فمات بها: والشيخ قاسم بن مهزع المالكى وهو القاضى الحالى. والشيخ سعيد بن أحمد أبى بشيت المالكى والشيخ عبد اللطيف بن محمد بن سعد المالكى خطيب جامع المنامة: والشيخ خالد بن يوسف أبى بشيت المالكى والشيخ على بن محمد الباشا المالكى. والشيخ عيسى بن راشد بن عيسى المالكى مفتى المحرق الحالى. والشيخ إبراهيم بن جامع الحنبلى. والشيخ عيسى بن جامع الحنبلى. وابنه الشيخ عبد العزيز بن عيسى بن جامع وقد تقلد مذهب الإمام مالك وهو اليوم إمام جامع الشيوخ فى المحرق. والشيخ إبراهيم بن هاشل الشافعى النقشبندى. والشيخ محمد بن عبد الرزاق آل محمود الشافعى خطيب (جامع الحد) ومفتيه وقد توفى فى ٢٤ ربيع أول عام ١٣٣٦هـ. والفقيه النحوى والفرضى المتفنن الشيخ عبد اللطيف بن محمود آل محمود الشافعى وهو

تلميذ والدنا فى علم الفلك وهو الذى قرظ كتاب الوالد المسمى بالوسيلة المرعية فى معرفة الأوقات الشرعية بقوله.

إلى م تجيل الفكر فى وصل مية
وتندب أرامًا حسانًا بهمة
وتلهو بسعدى والرباب وزينب
وعن حاصلات الربع فى جنح غفلة
فدع ذكر سعدى والرباب كليهما
وشمر لضبط الربع من ذى الوسيلة
رسالة حسن برزت فى فنونه
وشاهدها إيضاحها فى العبارة
بها اتضحت أوقات عمدة ديننا
ودلت على سمت هدانا لقبلة
ولم لا ومنشيها يتيمة عصره
سلالة نبهان سمى بخليفة
خليفة خير ما له من مماثل
لقد سهل الفن العسير بفكرة
وعند انتهى تكميلها قل مؤرخا
(قواعد طرق الربع منشأ الوسيلة)

(١٣٢٦)

والشيخ أحمد بـن محمد بن عبد الرازق آل محـمد وهو خطيب جامع الحد اليوم بعد والده.

وقعة ربيجة

سببها هو أن عبد الله وأخاه سـعودًا ابنى فيصل آل سعود لما تحاربا على إمارة نجد بعد وفاة أبيـهما وحصلت بينهما عدة وقعـات انتهت أخيرًا بانكسار سعـود وفراره إلى اليـمن (كما بينـاه فى تاريخ نجد) ثم توجه مـن اليمن إلى عمان فـالبحرين حيث نزل على بساط حـاكمها صاحب العظمة سـمو الشيخ عيسى بن على آل خليفـة. فغاظ ذلك أخاه عبد الله فـتواطأ مع الشيخ قاسم ابن ثانى الذى صار أخيرًا حاكم قطرًا على أخذ البـحرين فبلغ خبرهما للشيخ عيسـى بن على فشرع يجهـز الجيوش لصد غـارتها فلما علما بتـأهب حاكم البحرين لهما أقلعا عن مقصدهما الأول. ورجعا إلى أذية كل من يلوذ به.

وكان ممن يلوذ به قـبيلة النعيم التى فى بر قطـر فأغارا عليهـا وحصلت بينهما مـعركة شديدة أسفـرت عن انكسار النعيم وفرارهم إلى (قلعـة ربيجه) فحاصراهم حتى نفذ قوتهم ومؤهم فاضطروا إلى التسليم فصادر الشيخ قاسم بن ثانى إبلهم وأنعامهم وحلالهم فذهبوا فارين بأنفسهم نحو البحرين فوجدوا (سمـو الشيخ عيس) على سـاحل البحر بأسطـوله الشراعى قادمًـا لنصرتهم ومعه الشيخ أحمد بن على آل خليفة. ولكن فاته التدارك بتفرقهم وبرجوع بن ثانى بالسلب إلى مـقره. فنقـلهم سمـو الشيخ عـيسى مـعه فى السـفن إلى البحـرين. وتسمى هذه الحادثـة (وقعة ربيـجه) وذلك سنة (١٢٨٧) وأرخت بلفظ (غدروها ليلا) لأن أهـلها كانوا على غرة فهـجم عليهم ابن ثانى برهطه غدرًا بدون إشعار فكسرهم.

لمحة:

كانت سفينة الحاكم التى تقود الأسطول الشراعى تسمى (الطويلة) لطولها المتناهى. وكانت العادة عند الحكام أنهم حين الهجوم على الأعداء يحملون فيها مشاهير الشجعان ليكون هم المحافظون على بيضة الحاكم. وكان فيمن حمل فيها فى هذه الحادثة عم المؤلف عيسى بن حمد بن موسى النبهانى. وأما والد المؤلف الشيخ خليفة فكان فى ضمن سفن عشيرته مع القوم لصغر سنه يومئذٍ.

وفى سنة (١٢٨٨) حصل فى البحرين طاعون يسمونه الضرب الثانى. وأما الأول فهو فى سنة (١٢٣٦) وقد تقدمت الإشارة إليه.

شد القليعة

لم يشف ابن ثانى غليله من آل خليفة حتى جعل ينازعهم فى الإيقاع برعاياهم فأغار فى سنة (١٢٩٥) على قبيلة النعيم ولم يقنع بسلبهم فيما مضى حتى جعلها كالعادة عليهم. فحاصرهم فى (قلعة مرير) الواقعة فى أرض الزبارة فبلغ الخبر لسمو الشيخ عيسى حاكم البحرين فسار إليهم بأسطوله الشراعى مشحونًا بضراغم الرجال لإنقاذ رعاياه النعيم ومن تعلق بهم. فلما وصل الموضع المسمى (القليعة) جاءتهم بارجة انكليزية ومنعتهم من الحرب فى البحر حيث أن السلطة فى ذلك اليوم فى الخليج للإنكليز فظلوا متحيرين هناك يقدمون رجلا ويؤخرون أخرى نحو (١٥) يومًا والمذاكرة جارية بين حاكم البحرين والمعتمد البريطانى فى خصوص المهاجمة البحرية. وفى أثناء هذه المدة شدد (ابن ثانى) الحصار على قبيلة النعيم حتى ألجأهم إلى مصالحته بإعطائه نصف ما يملكونه من الخيل والأنعام فصادره منهم وفك

حصارهم. فلما بلغ الخبر لسمو الشيخ عيسى عطف بأسطوله نحو البحرين. ويسمون هذه الحادثة (شد القليعة) والشد فى اصطلاحهم هى المحاصرة البحرية فقط. كما تقدم.

شذرات

وفى سنة (١٢٩٦) قصد مكة المشرفة حاكم البحرين سمو الشيخ عيسى بن على لأداء فريضة الحج فتوجه إلى أبى شهر ومنه إلى جدة فمكة المشرفة. وبعد قضاء الحج أراد التشرف بزيارة قبر نبيه ﷺ فلم يتمكن لضيق الوقت وعاد قافلا نحو مقر حكمه على جناح السلامة:

وقعة الزبارة

سببها هو أنه تشاجر خدم آل خليفة مع خدم آل بن على تشاجرًا فاحشًا حتى عظم الأمر وارتقى من الموالى إلى الموالى[1] ثم ألجأ الأمر إلى ظعون آل بن على من البحرين ونزولهم فى الزبارة ثم انضموا إلى حاكم قطر الشيخ قاسم بن ثانى وعزموا على مناواة أهل البحرين:

فإن النار بالعودين تورى وإن الحرب أولها كلام

ثم إنهم أرسلوا إلى متصرف لواء نجد فى الإحساء وهو يومئذ (إبراهيم فوزى باشا) وطلبوا منه العلم العثمانى فأرسل لهم الراية العثمانية مع مرسوم خاص: فجعلوها فوق أعلامهم. وفى هذه المدة جعل سمو الشيخ عيسى بن على يسترضيهم ويبذل قصار جهده فى استرجاعهم إلى البحرين وهم يأبون ومصممون على رأيهم.

(١) ومعلوم أن عدم الإنصاف بين الخدم يفضى إلى الندم، والمنافسة بين الخدم: سم فى دسم، وتعدى الخادم عن طوره: دليل على ظلم المخدوم وجوره. اهـ مؤلف.

ثم إنهم تجمهروا تحت قيادة الشيخ سلطان بن سلامه آل ابن على وانضم معهم الشيخ ناصر بن مبارك آل عبد الله من آل خليفة وصحبهما الشيخ قاسم ابن ثانى واجتمع الكل عند (قلعة مرير) التى بنوها الخليفيون فى الزبارة قديمًا وعزموا على العبور إلى البحرين ليحتلوها لتوفر قوتهم. فلما طرق مسامع انكلترى ذلك الخبر خشيت من أن تخفق الراية العثمانية على جزيرة البحرين مرة ثانية: فتضيع سياستها التى تسوسها منذ أعوم: فأبى المعتمد البريطانى واسمه (كاسكين) إلى سمو الشيخ عيسى حاكم البحرين واستأذنه فى ردع هؤلاء الثائرين فأذن له فتوجه المعتمد البريطانى نحو الزبارة يقود أربع بوارج انكليزية حتى أرسى عند الزبارة ونزل إلى البر واتجه بزعماء الثائرين ومنعهم عن فكرتهم فى مهاجمة البحرين فلم يلتفتوا إلى قوله ولم يصغوا إلى كلامه. فعاد مغضبًا ورجع إلى البوارج وأمرها بإطلاق القنابل على تلك العشيرة: فأصلتهم نارًا حامية حتى مزقتهم وتحطمت البلدة وتفرق أهلها شذرًا مذرًا: وتسمى هذه الحادثة (كسارة الزبارة) وذلك فى ٨ ربيع عام (١٣١٢).

وبعد خراب البلدة ذهب المعتمد المذكور ببوارجه إلى محل غوصهم واستاق من سفنهم المهمة نحو (٩٥) سفينة وقادها برجالها إلى البحرين فأسلم الرجال أسراء إلى سمو الشيخ عيسى منهم تجديد المعاهدة على الطاعة والانقياد لأوامره فعاهده الأكثر منهم على ذلك ثم خلى سبيل الكل. وبقيت سفنهم تحت قبضة المعتمد البريطانى. فلما أرادوا أخذها منعهم من استلامها وأمرهم بشرائها منه فأبوا وعلموا أن هذا لظلم عظيم حيث أنه أخرب ديارهم وسفك دماءهم بل ولا كفاه ذلك حتى ذهب إلى مغاصهم وقاد سفنهم وعطل مصلحة غوصهم ثم سجن رؤساءهم عند حاكم البحرين ولما تحصلوا على

العفـو من سمو الحـاكم الشيخ عيـسى لم يرض المعتـمد بذلك بل أراد زيادة ضررهم فـأمرهم بشـراء سفنهم منه وإلا أحرقـها فأبـوا وصممـوا على عدم الشراء: فأوقد المعتمد فى سفنهم نارًا وأحـرقها بأجمعها وذلك فى شوال عام (١٣١٣) وكان فى ذلك المدة قـد توجه الشيخ سلطان بن سـلامة فى سفـينته إلى القطيف وأخذ من قائمـقامها أوراقًا بما حصل عليـهم من الظلم ليرفع بها الخبر إلى أعتاب الدولة العلية العثمانية.

فلما قبض الأوراق توجـه نحو البصرة فمر فى أثناء سـيره على موضع يقال له (رأس تنوره) وأرسى هناك بسـفينته حسب العادة لبـعض الأشغال فى البر فاستضافه جماعة من (قبيلة العمامرة) فأضافهم وأحسن مثواهم. وإذا هم عازمون على اغتيـاله بإغراء الأعداء وأتوا إليه على وجه الضيافـة ليعرفوا قوة قومـه. فلمـا فرغـوا من أكل طعامـه رجعـوا إلى البر. ثم عـاد منهم اثنان يخوضان البحر نحو سفينته على سبـيل موادعته. فلما قربا من مؤخر السفينة قام الشيخ سلطان بن سلامـة إجلالا لهما ومد يده إليهـما ليتناول من يدهما بندقيتـهما ليسهل عليـهما ركوب السفينة فـأطلقا فى صدره رصاصتـين فخر شهيدًا رحمه الله وأخزى قاتلاه. وفرا ناجـين بأنفسهما وقد بهت قول المقتول فلم يمكنهم التدارك بأخذ الثأر من القاتلين.

فكان قتل الشيخ سلطان هو السبب فى إضاعـة حقوق عشيرته ولم يقم أحد مـقامه فى الرئـاسة إلى اليوم. وبقـيت عشيـرة آل بن على بدون رئيس يرتضيه الكل.

ذبحة سلمان بن دعيج

سببها أن رجلا يسمى (غيثا العمارى) قد ذهب ابن عم له إلى بر ظهران فقتل هناك فقيل أن قاتليه بنو مره. فذهب غياث المذكور إلى ذلك الموضع لأخذ الثأر فاتجه بفتى منهم فقاله غيلة ورجع إلى البحرين فى خدمة حكامها. فأتى أبو الفتى المقتول واسمه (ابن مفتاح) إلى حاكم البحرين وأخبره بما جرى من غياث العمارى وطلب القود فأمتنع الحاكم من تسليم شخص دخل فى حمايته كما هى العادة عند جميع العرب. وإنما جبر الحاكم خاطر أبى المقتول بعبارة حسنة وأعطاه عوض الدية فرسًا وحلة وأوعد بالكرامة التامة فى كل سنة. فرجع الأعرابى إلى مقره مظهرًا السرور مبطنًا الحقد.

فبعد مدة ذهب إلى بر ظهران الشيخ سلمان بن دعيج بن خليفة آل خليفة للقنص كالعادة وفى معيته (٢٥) شخصًا وفى ضمنهم (غياث العمارى) المذكور. فهجمت عليهم ليلا وهم نيام سرية من (آل بحيح من المرة) رهط بن مفتاح المذكور أبى الفتى المقتول وهو معهم فوضعوا فيهم السيوف وهم نيام فانتبهوا فزعين وأخذوا السيوف وداؤهم تسيل وتقارعوا مع عدوهم برهة. ولكن لكثرة العدو ودهشة النوم لم يتمكنوا من المدافعة التامة. فقتل الشيخ سلمان وابنه دعيج وابن أخيه الشيخ عبد الرحمن بن راشد بن دعيج وقتل معهم (٢٢) شخصًا ولم ينج منهم سوى بشر بن الشيخ سلمان بن دعيج وهو الذى أتى بخبرهم بعد أن قتل من العدو اثنين فقط. لأن بندقة لصقت فيها (الفشقة) ولم يتمكن من إخراجها أثناء المعركة فنجا بنفسه بعد أن رأى جثة ابن مفتاح بين القتلى. وسلب العدو جميع أمتعتهم وأثاثهم. بعد فعلتهم التى فعلوها وهم ظالمون. ثم ظعن العدو من تلك النواحى بقطيطه وقططه خوفًا

من أخذ الثأر منهم ولم يعلم لهم حتى اليوم مقر معين أو محل مخصوص دمرهم الله حيث كانوا. وتسمى هذه المصيبة (ذبحة سلمان بن دعيج) وذلك سنة (١٣٢٨).

من لم يمت بالسيف مات بغيره تعددت الأسباب والموت واحد

سنة على بن أحمد

هو أنه حصل بين خادم الشيخ على بن أحمد بن على بن خليفة آل خليفة وبين خادم لتاجر جرمنى فى البحرين فى المنامة مشاجرة أفضت إلى ملاطمة. فأتى الشيخ على لينظر قضيتهما فرأى أن خادم الجرمنى مخطئًا فلطمه الشيخ على فاستغاث الخادم بصاحبه الجرمنى. فأتى ذلك الجرمنى مغضبًا وأساء الأدب بلسانه مع الشيخ على حتى أغضبه فعمد الشيخ إلى الجرمنى فلطمه أيضًا فعظمت المسألة. فرفع الجرمنى شكايته إلى معتمد انكلتره المقيم فى البحرين. وتوجه الشيخ على إلى قطر كالعادة. فبعد التحقيق قرر المعتمد البريطانى على الشيخ على حكمًا غيابيًا بعدم دخوله البحرين إلى مدة خمسة أشهر. ثم إن المعتمد أخبر الحاكم سمو الشيخ عيسى بما تم عليه القرار على ابن أخيه وإن الجرمنى رضى بذلك الحكم ولم يبلغ الشيخ على بما حكم عليه. فبعد أيام قلائل رجع الشيخ على إلى البحرين فرآه الجرمنى فغضب غضبًا شديدًا ورفع شكواه رأسًا إلى دولته. فتخابرت السفراء فى خصوص هذه المسألة فقررت بريطانيا بنفى الشيخ على من البحرين إلى مدة خمس سنوات. فلما بلغ الخبر للشيخ على قفل راجعًا إلى قطر قطعًا للنزاع فأتى المعمد الإنكليزى واسمه كاسكين إلى بيت الشيخ على وفتحه بدون إذن عمه الحاكم وأظهر جميع أثاثاته فأحرقها علنًا أمام جمع من الأهالى. ثم ذهب إلى

الساحل وأمـر بحرق سفن الشيخ على فـأحرقت فى الحال. وصادر أسلـحته وخيله وإبله وأنعامه وعرضها لـلبيع فى البحرين فلم تطب نفس أهل البحرين لشرائها فأمر المعـتمد بحملها جميعًا إلى بر عـمان فبيعت هناك بأبخس ثمن. ثم شدد المعتـمد الطلب على الحاكم فى إحضار ابن أخيـه الشيخ على بعد أن أتت إلى البحرين ست بوارج إنكليزية وحاصرت البلدة.

فلمـا بلغ الخبر للـشيخ على خـشى من وقوع فتـنة عظيمة فـرجع إلى البحرين وأسلم نفسه للمعتمد البريطانى تطبيبًا لخاطر عمه. فأركبه المعتمد فى إحدى البـوارج لأجل المحاكـمة بينه وبيـن الجرمنى فى البـارجة. ولما صـعد البارجـة أخبر بأن الدعوة تـنظر فى أبى شهر وأمرت البـارجة بالسفـر حاملة الشيخ على ومعه ثلاث نفر ن حاشيته. فلما أقلعت البارجة من مرساها أمروا بنزع السلاح وأدخلوا فى حـجرة من حجر البـارجة ولم يعلموا ماذا سـيصنع بهم حيث أنهم أودعوا فى الحجرة على صـفة السجن ولم يفسح لهم بالخروج منها شهرًا. ولم يعلموا أين تغدوا بهم البارجة. ثم أنزلوا فى (بمبى) بعد شهر كـامل. وبقوا فى الـهند ثلاث سنوات. ثم أذن لهم بالتـوجـه إلى البحـرين فعادوا إليها.

ولما وصل الشيخ على البحرين قابله ذووه الأهالى بالترحيب وأهدته بنو عمه الهدايا والتحف وقسمًا من الإبل والأنعام والخيل فانجبر كسره. وكان نفى الشيخ على من البحرين سنة (١٣٢٣) ورجوعه فى رجب من عام (١٣٢٦)هـ وتسمى هذه الظلامة (سنة على بن أحمد).

شذرات

وفى سنة (١٣٢٩) أمـر معتـمد بريطانيـا بمنع بيع السلاح والرقـيق فى البحرين فهاجمت الأهالى وماجت ثم اجـتمعت فى بيت الحاكم سمو الشيخ عيسى وطلبوا منه أن يضع حدًا لاعتداء الإنكليز. فأجابهم بعجزه ما لم يتفقوا معـه على رأيه وحثـهم بالعاضـد: وأن يكونوا يدًا واحدة على مـن سواهم. ليتمكنوا بالنهضة لاسترداد حقوقهم المغصوبة. فتكفلوا له بذلك وطلبوا منه أن ينشئ لهم مجلسًا يضم رؤسائهم وذوى الرأى منهم. ويخول لهم حق انتخاب القضـاة الشرعيـين ورؤساء الدوائر. وعـزل غير الوطنيـين واتخاذ الأسـباب اللازمة لحفظ حـقوقهم. فأجاب الحاكم طلـبهم وأعطاهم أوراقًا وثائق بذلك وأخذ منهم أخرى يتـعهدون فيهـا بالسمع والطاعة ولزوم أوامره مـا دام سمو الحاكم متبعًا لمشورة ذلك المجلس.

ولما تم إنشاء هذا المجلس على أحسن ما يرام وعلمت به الأعداء تيقنت بأنه الضربة القاضـية على سياستـها. فسعت فى حله حـتى أوعز إلى قاضى المحرق الشيخ شرف اليمانى. فأتى ذلك القاضى إلى سمو الحاكم ووسوس له بأن هذا المجلس عقد على خلع عظمتكم. فأوجس الحاكم فى نفسه خيفة من ذلك المجلس. فأصدر فى الحال أمره بحلة فانحل وتفرقت أعضاؤه. ثم أعلن بأن من يفه ببـنت شفة فى مـسألة المجلس يسجن. وبذلـك نال العدو بغيـته وتمكنت قدمه. ولكن سرعان ما تكشـفت أحوال القاضى المذكور فخلع وطرد وأشفق على نفسه فلجأ فى الحال إلى دار المعـتمد البريطانى طالبًا الأمان على نفسه فقط.

(وفى سنة ١٣٣٨) تأسست فى المنامة دائرة للبلدية تحت رياسة سمو الشيخ عبد الله نجل الحاكم: تم فى سنة (١٣٣٩) آلت إلى سمو الشيخ حمد نجل الحاكم وولى العهد فوضع نائبًا عن محمد شريف العوضى.

(وفى سنة ١٣٤١) بنى سمو الشيخ سلمان بن الشيخ حمد حفيد الحاكم قصرًا فى (القضيبة) وبنى أيضًا (دائرة للحكم) فى المنامة على الساحل فى مقابلة (المكمس البحرى) من جهة الغرب.

تم بعون الله (تاريخ البحرين) من كتاب التحفة النبهانية فى تاريخ الجزيرة العربية المزين بالرسوم: تأليف فريد عصره العالم الشيخ محمد ابن العلامة صاحب الفضيلة الشيخ خليفة النبهانى ثم الطائى المكى المالكى المدرسين بالمسجد الحرام كان الله لهما عونًا ومعينًا.

سعد بن الشيخ عبد الله بن شملان مع ابنيه عبد اللطيف وعبد العزيز